الرسائل الجامعة

ترشيد الفكر الإسلامي

أنور الجندي

دار الاعتصام

- يا فؤادي كن رفيقا

يا لساني كن طليقا

يا نهاري كن عليقا

يا نهاري كن بريقا

يا أيها القلب الأبي

كن لي دوما الكوكب

- يا حب معذرة ... ومثلي ليس يعتذر

- مالي يد فيما مضى ... عيناي تقتصر

- عار على السمع والبصر ... فمتى سأعتذر

- وأنا لسيف الحب انتحر

وأنا الصبي وعذري طاهر

يا عذري كن سورقا

يا حبي كن صديقا

يا نهاري كن رقيقا يا ظلامي كن بريقا

يا هواي كن حريقا يا عذري كن شريقا

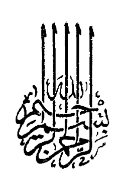
ترشيد الفكر

الاســــلامى

أقول للقلب رفقا بالقوارير

يا مارًّا بالدار بلّغ تحياتي

صبحا وظهرا وعشياتي



مقدمة

أن ميزة الاسلام الكبرى ودعامته الحقه هى النظرة الجامعة الكليــة للانسان والكون والحياة التى تقــوم على الترابط الجامع بين الروح والمادة والنفس والعقل والدنيـــا والآخرة ..

ومن هنا فقد كانت مهمة « الرســائل الجامعة » أن تقدم هذه النظرة فى عرضها لقضايا الفكر الاسلامى فى مواجهة الغزو الفكرى والتغريب ومحاولة احتواء ثقافتنا والسيطرة عليها وصهرها فى بوتقة الفكر الغربى ..

ولقد تعالت هذه الصيحة الى فهم التغريب والغــزو الفكرى منذ الأربعينات فى اطار حركة اليقظة الاسلامية ومن خلال الدعوة الاسلامية الصاعدة وكان لصاحب هذه الرسائل دوره الواضح فى الصحافة الاسلامية منذ ذلك الوقت ومازالت تلك رسالته من خلال أربعين عاما فى متابعة جادة متصــلة

لكل ما تطرحه مؤسسات الاستشراق والتبشير من شبهات وسموم .

ولقد كانت تلك دعوتنا الى اخوتنا الدعاة الى تطبيق الاســـلام فى المجتمع الاسلامى بوصفه منهج حيـــاة ونظام مجتمع ، أن تكون نقطة البدء هى ((تصحيح المفاهيم)) وتحرير القيم والعودة الى المنابع والكشف الدائم الدائب عن مؤامرات الغزو الفكرى والتغريب كمنطلق للدعوة الاسلامية فى هـــذه المرحلة .

واننا لنحس اليوم أن الشجرة قد ثبتت جذورها وأينع ثمرها وان هذه الوجهة الصحيحة الأصيلة قد باتت على لسان كل الدعاة الى الله .

* الجندى تابع مقالات جادة ومستمرة انفرد بها لكل ما تطرحه مؤسسات التبشير والاستشراق من سموم

* * *

* الجندى يجعل نقطة البدء عنده تصحيح المفاهيم ويناشد الدعاة بذلك بالعودة للمنابع والكشف المستمر عن مؤامرات التغريب ويعتقد ان ذلك يشكل ركيزة للدعوة فى مرحلتها القادمة.

* الجندى كله أمل فى ان هذه الصيحة لم تكن صرخة فى واد ولم تكن نفخة فى [illegible] وانما آتت أكلها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١)

ترشـــيد الاســـتهلاك

يتساءل كثير من الباحثين عن حضـــارة المستقبل . ويعتقد كثيرون أن الحضارة الاســـلامية هى التى ستحل محل الحضـــارة الغربية بعد انهيارها . لأن الحضارة الاســـلامية (لا العربيـــة) لا تزال لها جذور عميقـــة فى تاريخ الحضارات البشرية وفيها من الحيوية وقوة الصمود بمقوماتها الحضارية ما يساعدها على الانبعاث من جديد ، ولقد حاولت أوروبا قهر الحضارة الاسلامية فى مهـــدها وابادتهـــا ، ولكنها فشلت فى محاولة استمرت حوالى قرن ونصف قرن من الزمان ، فهى ذات طابع أصيل ، فى التعاقب والانبعاث ، وذات طابع استمرارى متواصل عبر العصور التاريخية .

ولقد كشف كتاب الغرب عن مدى الفســـاد الذى أصـــاب الحضارة الغربية المعاصرة وما يرجى لحضارة التوحيد . يتحدث عى ذلك مثلا روجيـــه جارودى فى كتـــابه (من أجـــل حوار مع الحضارات) حيث يقول : ان الحضارة الغربية عملت على تحطيم القيم الانسانية ، لقد كان عصر النهضة الذى يصوره الأوروبيون على أنه قمة الحضارة التى أعطت أرقى القيم الانسانية ، بداية أحلك فترة فى تاريخ الانســـانية ، اذ بدأت معها فترة الاستعمار الاقتصادى والسياسى فى العالم عنـــدما بدأ الرجل الأبيض فى نهب الموارد البشرية والمواد الأولية من القارات الأخرى ليشيد بنـــاءه الاقتصادى ، ثم استمر الى اليوم فى عملية الاستنزاف الاقتصـــادى ان الحضارة الأوروبية التى نبتت على فلسفة فاوست (الشيطان) والتى جعلت من الانسان الغربى مجرد آلة للانتاج والاستهلاك تسير

دون هدف ، ولهذا السبب فان الحضارة الغربية ستقود الانسان الى هلاك محتوم ، الا اذا خرج الرجل الابيض من جهله ومن غروره وغطرسته وتفتح على الحضارات العريقة .

ان الانسان الذى أنتجته الحضارة الغربية يسير للأهداف كالآلة فى انتاجه واستهلاكه وهدفه الوحيد هو أن ينجح أكثر فأكثر ويجعل من النمو الاقتصادى المقياس الوحيد الذى يفرق بين دولة متحضرة ودولة متأخرة .

ومن المعروف أن أول من تنبأ تنبؤا قاطعا بانهيار حضارة الغرب الحالية هو الفيلسوف الألمانى « شبنجلر » الذى أعلن رأيه قبل خمسين سنة معززا رأيه بالنظرية القائلة : ان التاريخ الانسانى ليس خطا مستقيما الى التقدم ، ولكنه دورات متعاقبة النمو والانحلال ، وأن كل حضارة أشبه بالانسان تولد وتنمو وتزدهر ثم تشيخ وتذبل وتموت . يقول : ليس هناك مهرب ، واننا الآن فى آخر مراحل التدهور ، وليس هناك احتمال فى ظهور دين جديد أو فلسفة جديدة لأن تربة الغرب منهوكة ميتافيزيقيا ، والشك هو الطريق الذى ينفتح أمامنا . ان هذا العصر سيكون المرحلة الأخيرة من الحضارة الغربية ، وهذه المرحلة النهائية حتمية بالنسبة للتاريخ الغربى . ويقول : ان الاستعمار الغربى على حداثته أخذت شعوبه تشعر بالهرم نسبيا وتشكو من نقص مواردها الطبيعية على عكس الشعوب العربية التى أخذت تجمع شملها فى وحدة متماسكة حتى توافرت لها الظروف الملائمة فكريا واقتصاديا وهى تحتفظ بفائض من مواردها الطبيعية ، ولأجيال عديدة لا يمكن حصرها .. ويقول أكثر من باحث منصف « ان هذه الشعوب التى قادت العالم من قبل لمدة ألف سنة كاملة ، ليس هناك ما يمنعها من أن تقود العالم ثانية فى المستقبل القريب أو البعيد » .

ولا ريب أن لهذه الحضارة التى صنعها القرآن ، هى حضارة اسلامية وأن ما يسمى بالعرب انما هم طلائع الاسلام الى الأمم ، وانه اذا ذل العرب ضعف الاسلام ، وأن الاسلام هو الذى أوجد الأمة العربية وبه نهضت وسادت واقتحمت الأقطار الى آخر ارض ، ولذلك فان العرب بالاسلام وليس الاسلام بالعرب . يقول وليم

(٤)

كاتسفليس : ان كثيرا من كتاب اللغة العربية عندما يذكرون الدول الاسلامية كدولة الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين والامارات الاسلامية فى الأندلس يعبرون عنها بقولهم (التمدن العربى) وهو تعبير فاسد تكذبه الحقيقة التاريخية فلو قالوا الدول العربية لكانوا أقرب الى الصواب ، ذلك لأن العنصر الغالب والحاكم فيها كان عربيا أما التجديد بمعنى ما أنتجت تلك العصور من ثمار العلوم والفنون والصنائع ، فقد كان « تمدنا اسلاميا » وليس عربيا ، والفرق بين اللفظين ظاهر كما لا يخفى على ذى بصيرة .

* * *

تأكيد الـــذات

ان المعـــركة الحقيقية اليـــوم هى معركة ((تأكيد الذات)) أو المحافظة على الذات أو حماية الذات ((الذات الاسلامية)) التى كونها القرآن الكريم خلال أربعة عشر قرنا والمحافظة عليها وحمايتها من الانهيار والتدهور ، والجمود ، والمداخلة ، والانصهار فى بوتقة الفكر البشرى العالمى تحت أسم العصرانية أو الحداثة أو العالمية .

لقد بدا مع منطلق القرن الخامس عشر أن المحافظـــة على ((الذات الاسلامية)) فريضة من فرائض العقيدة والأمة فى نفس الوقت ، ذلك انه قد تبين أن الهـــدف الحقيقى وراء المؤامرة التى تقودها القوى العالميـــة ، وهو تذويب المسلمين فى الكيان الأممى والعالمى عن طريق ثلاث عبارات خدعت الكثيرين وأصبحت تجرى على السنتهم فى سهولة ويسر دون تبين أبعادها وخلفياتها والمرامى التى ترمى اليها تلك هى الانفتاح الثقافى ، التلقيح الثقافى ، اثراء الفكر ، وكل كلمة من هذه الكلمات فى حاجة الى توضيح لأخطارها واعماقها التى تغيب عن الغافلين المخدوعين .

ان الانفتاح الثقافى له ((ضوابط)) وهى أن يكون المتقبل من الفكر البشرى مما لا يتعارض مع أصول الاسلام أو مما هو مضـــاد لها ، وأنما يكون عاملا من أساليب العصر التى ينتفع بها فى تبليغ الحقائق وتوصيلها الى اكبر عدد من الناس .

والا فكيف يأخذ الربانى المصـــدر ، من البشرى وكيف يأخذ الجامع المتكامل روحا ومادة من القاصر الناقص الانشطارى الواقف على حدود المادة وحدها ، وكيف يأخذ الانسانى الناصـــع الناطق بالحق من الحامل لأهواء البشرية وأوهامها ؟

وكيف يقبل المسلم أن يلقح الفكر الربانى الجامع من الفكر البشرى الحافل بالأساطير والأوهام والخرافات والفرضيات التى لم تثبت ؟ ان ما يأخذه الفكر الاسلامى من الفكر الوافد بمثابة « مواد خام » له الحق فى تشكيلها وصياغتها على الوجه الذى يريده على أن تكون خاضعة للقيم الأساسية للفكر الاسلامى القائم على التوحيد والعدل والرحمة والاخاء الانسانى والذى يقيم منهجه على أساس الالتزام الأخلاقى والجزاء الأخروى .

أما اثراء الفكر فان شيئا واحدا هو مطلبنا هو العلم والتكنولوجيا لنأخذها ونصهرها **فى اطار فكرنا الاسلامى ، لتعمل بمفهوم** الاسلام الذى لا يستعلى بالعنصر والجنس أو الطبقة ، والذى يجعل عطاء الحياة **للناس جميعاً ، اما اسلوب العيش الغربى** الاجتماعى والحضارى ، **على النحو الذى يعيشه الغرب الآن فان** ما لدينا منه يكفينا ويحقق غايتنا ، فنحن نفهم التقدم ، تقدما معنويا وماديا فى آن ، ونحن لا نضحى بالأصول والثوابت والقيم وحدود الله فى سبيل اى كسب مادى ، ولا نجعل مفهوم الاسلام الصحيح مبررا للحضارات حين تنحرف ، ولا المجتمعات حين تفسد ، وانما تطالب الحضارات والمجتمعات أن تعود الى طريق الله .

لقد مر المسلمون بمرحلتين من مراحل الصراع مع القوى الغربية الحريصة على التهام العالم الاسلامى ، مرحلة الاحتلال العسكرى والسياسى **ومرحلة الغزو الفكرى الليبرالى الماركسى الصهيونى . وقد استطاع « عالم الاسلام » أن يقف من هاتين المرحلتين موقف الصمود** ، غير أن المرحلة الثالثة الجديدة المبسوطة الآن من وراء كل مؤامرات الفكر والثقافة والتعليم هى أخطر المراحل ، **ويجب أن نجتازها بدفعة ايمان قوى ، تلك هى مرحلة** ما يسمونه التبادل الثقافى والمنح الدراسية وما هنالك من تبادل . فنحن الذين نستورد المناهج ، **وأبناؤنا هم الذين يسافرون ليعودوا** غرباء عنا . فلنحذر استيراد المناهج **ولنحذر أن ترسل من أبنائنا من ليسوا على قدر كاف من معرفة الأخطار التى تواجههم بالاحتواء** والتغريب .

ان هذه المرحلة أشد وأخطر من المراحل السابقة جميعا ، فهى

تستهدف ازالة « الهوية الاسلامية العربية » ازالة كاملة ، وصهر هذه الأجيال الجديدة فى بوتقة واحدة تحت اسم الحضارة العالمية والثقافة العالمية ، دون أن يتبين هذا الشباب الغض الذى تنقصه خلفية اسلامية واعية ، ومعرفة حقيقية لرسالة الاسلام ، ودراية واسعة للخطر الذى يحيط به ، والتحدى الخط الذى يواجه الأمة الاسلامية كلها باعتبارها المالكة اليوم للثروة والطاقة والتفوق البشرى ، والمعدة بتقدير الله تبارك وتعالى الى وراثة الحضارات المنهارة والأنظمة المتصدعة والتى تتطلع البشرية آليها لتجد فيها الترياق لما يواجه العالم من ازمات واغتراب وتمزق نفسى .

الهدف هو القضاء على مصدر الضوء الجديد الذى يقدمه الانسان واضعاف هذه النفس المؤمنة بالله ، المؤمنة بأنها على الحق ، واذلالها وتعويق مسيرتها الى مصير محتوم .

* * *

(٣)

المسئوليـة الفرديـة

ان أكبر أخطاء النظرية الغربية الوافدة هى فى القـول بأن الانسان حيوان طعام ، أو حيوان جنس . وان الانسان هو الذى يصنع نفسه ويشكلها عن طريق القرارات التى يتخذها لنفسه بنفسه وانه هو الذى يقنن ويشرع لنفسه ، وفق هواه ومطامعه ، وان ارادة الانسان حرة مطلقة ، وان السنن ثابتة لا تتغير .

وليس هذا مفهوم صحيح ، ولكن المفهوم الأصيل الذى قدمه لنا الدين الحق هو أن الانسان مستخلف فى الأرض ، وليس مالك مطلق التصرف ، وان عليه التزاما اخلاقيا ومسئولية ، وعليه جزءا آخرويا ، وان الحياة ليست كلهـا منفعة أو مادة ، وان هنـاك معنويات لها أثرها العميق فى تحريك التاريخ وفى تغيير الواقع ، وان ارادة الانسان حرة ، ولكنها ارادة غير مطلقة لأنها تتحرك داخل ارادة الله ، وان للكون قوانين ثابتة وسننا طبيعية ، وكلها خاضعة للمعجزة الالهية والقدرة الالهية وان الله تبارك وتعالى قادر على تغيير هذه السنن ، أو ايقافها متى شاء وان العقلانية ليست قاعدة وحيدة ، ولكن الاسلام مركب من العقلانية والروحية ، ومن المادة والروح ، وأن هناك حرية الاختيار ، ولكنها غير مطلقة لأنها مقيدة بالضوابط الأخلاقية والمسئولية الفردية ، وبالحدود التى حددها الله تبارك وتعالى . نعم هنـاك ضوابط وحدود هى العقل والفطرة والشريعة ، ولا شك أن الاقتصاد عامل مؤثر فى مجرى التاريخ ولكنه ليس العامل الأكبر أو النهائى أو الوحيد ، وهنـاك حدود تحد من اطلاق الحرية دون أن تنقص من صميمها هى قيود العقل والأخلاق والقيم والفطرة وضوابط الأديان وحدودها .

والاسلام يبسط طريقا وسطا أمام معتنقيه لا تتجرد فيه الروح من البـدن ، ولا البدن من الروح ، بل ترتبط الجوانب الروحيـة بالجوانب المادية ، وتتوازن ، وكل محاولة الى الفصل بينهما انما ترمى الى تدمير الانسان ، والاسلام لا يعارض التقدم بل يدفع اليه

دفعـــا بالنظر فى ملكوت السموات والأرض ، والسعى لعمـــارة الأرض ، وهو تقدم معنوى ومادى معا ، والتقدم المادى لا بد أن يرتبط بالقيم الأساسية ويدور فى فلك التقوى والعـــدل والاخاء . وتقدمية الاسلام ليست فى موافقته للنظريات الاجتماعية والاشتراكية أو معارضتها ، بل لأنه يدفع الانسان دوما الى الأمام ولا يوجد فى تعاليم الاسلام كلمة واحدة ، أو عمل واحد من شأنه أن يعوق تقدم المسلمين او يمنع زيادة حظهم من الثروة أو المعرفة او القوة وقد جعل الاسلام سيادة الانسان ، ليست فى سيادة هيكله المادى ونموه الحيوانى ، فى سيادة القيم الانسانية من العـــدل والحرية والاخاء والمساواة .

وللاسلام ذاتيته الخاصة ، ومقاييسه الخاصة ، فهو ليس صالحا لأنه موافق للديمقراطية أو الاشتراكية أو الراسمالية ، فقد جاء الاسلام حاكما على الناس وعلى المدنيات ولم يجيء محكوما بهم ، وليس الاسلام مطية ذلولا الحضارة الحديثة ، وليس الاسلام خادما للدعوات والحضارات ، بل هو حاكم له مقـــوماته المستقلة التى لا تخضع ، وليس فى القدر الاسلامى ما يميت شجاعة المسلم أو يؤدى الى فتور همته ، وقد حرر الاسلام اتباعه من التأثير الأجنبى بكل أنواعه .

وقد علم الاسلام المسلم أن يحدد علاقته مع الماضى (التاريخ) ومع ماوراء الطبيعة (الغيب) ومع الآخرين (الزمن والبيئـــة) ، فاذا انقطعت الصلة مع واحدة من هذه جاء الخوف والقلق والتمزق ، وان لانهيار الأمم أسبابا كثيرة من أشدها قطع الصلة بالماضى ، وعلى المسلم أن يمتد من الحاضر الى المستقبل فى ضوء الماضى ، وأن يمتد فى روابطه مع الأسرة والجماعة والأمة والعالم كله .

وان حقيقة (النجاح) هى العودة الى الله والتماس شرعته ، وان هذا النجاح هو التقدم الحقيقى ، وأن أى تقدم لا يسلم الى مرضاة الله ويحقق قيـــام المجتمع الربانى فى الأرض ليس تقـــدما حقيقيا .

وليست كل مباهج الدنيا كالثروة والسلطان والمتعة الا موضع حساب ، وفرحها فرح مؤقت ، أما الفرح الحقيقى الذى يبقى فهو العطاء وانكار الذات ، ومرضاة الله بمعارضة أهواء النفس .

اقامة المجتمع الربانى

يجىء مطلع القرن الخامس عشر الهجرى حافزا لألف مليون مسلم للوقوف لحظة لمراجعة حساباتهم ، والنظر الى الطريق الذى يسيرون فيه نظرتين :

نظرة الى الماضى لتقدير ما قطعوه فى سبيل الغاية التى يتطلعون اليها ، ونظرة الى المستقبل الى الوصول اليه .

ولقد كان عليهم قبل ذلك ان يكونوا قد اقاموا مفهوما واضحا شـاملا لمهمتهم ، وتتمثل فى وحـدة فكر أساسية تركز على القيم الأساسية التى لا اختلاف فيها ، مؤمنين بأن عليهم ان يتعاونوا فيما يتفقون عليه ، ويعذر بعضهم البعض فيما يختلفون فيـه ، ما دام الخلاف فى الفروع لا تؤثر فى الغـاية الأساسية ولا فى المقصـد الأسمى .

ويجب ان تكون الغاية الأساسية والمقصـد الأسمى أمامهم واضحا جليا متفقا عليه لدى المسلمين جميعا . وهو تحقيق ارادة وجودهم ، واقامة كيانهم ومجتمعهم ، على الأسس التى رسمها لهم دينهم الحق بوصفه « منهج حياة ونظام مجتمع » وأن عليهم اليوم بعد أن تحرروا من قيود النفوذ السياسى والعسكرى الوافد ، أن يكونوا قادرين على التخلص من النفوذ الاجتماعى والاقتصـادى والثقافى ، وأن يحرروا ارادتهم بتطبيق شريعتهم الاسلامية ، واقامة مجتمعهم الربانى ليكونوا مؤهلين بعد لتبليغ رسالة الاسـلام الى

العالمين ، وحتى تعلم البشرية انه لا سبيل أمام علاج أزماتها التى تعيش اليوم الا أن تلتمس طريق الله وحده ، ولا شىء يمكن ان يحقق أمن المواطن وسعادته وحقوقه الا بتطبيق شريعة الله تبارك وتعالى ، فان لم يفعل المسلمون ذلك فانهم آثمون مسئولون بين يدى الله تبارك وتعالى على تقصيرهم فى تنفيذ ذلك . ان القانون الوضعى هو تشريع البشر للبشر ، انه التشريع الذى يقوم على أهواء النفس ، وعلى الظنون التى تتجاوزها الأحداث يوما بعد يوم ، انه الملىء بالثغرات العاجز عن العطاء الذى يستهدف اباحة المنكرات وحماية الانسان من المحاسبة عن افساده للمجتمع فى مجالات الأهواء والزنا والاغتصاب ، ما دام يرضى الطرف الآخر ، وما دام ذلك ليس فى منزل الزوجية ، وبذلك تتفشى فى المجتمعات الادواء الصاعقة من الجذام والسيلان فضلا عن ضياع الأعراض والغيرة والشرف والعفة ، وتحطيم الأسرة وتدافع المرأة نحو الشهوات دون خوف من عقوبة أو جزاء .

كذلك فان شريعة الله وحدها هى القادرة على تحقيق العدل الاجتماعى والتكافل الاجتماعى وقيام الأمن الدولى فى الاسلام ، فالمسلمون من غير تطبيق الشريعة الاسلامية مضطربون فى مجال الاقتصاد ومجال الاجتماع ومجال القانون .

ان هناك فوارق بعيدة وعميقة بين شريعة الله وبين القانون الوضعى فالنظم السماوية ترتبط بالعقيدة وبالايمان فيكون لها فى نفوس الأفراد قدسية وحرمة وجلال تتقبلها النفوس ابتغاء مرضاة الله وايمانا بأنها أصلح النظم ، ولأنها من صنع الله القدير فانها تكون دائما موائمة لطبيعة المجتمع قادرة على استيعاب تطوراته ومتغيراته مرنة لتلقى ظروفه وأوضاعه .

أما القانون الوضعى فانه يقوم على الخوف من العقوبة ويسهل على الفرد الخروج عنه اذا وجد الوسيلة الى ذلك كيلا يقع تحت

طائلة العقاب ومتى كانت النظم غير مستمدة من دين ما ومعروف انها من وضع البشر لا يكون لها فى نفوس الأفراد حرمة ولا قدسية ولا جلال .

والمعروف أن واضعى القوانين يخضعون لأمرين : لأهوائهم كبشر وهى أهواء ضـــالة ، ولظروف مجتمعاتهم المتغيرة فسرعان ما تتهاوى القوانين لأنها لا تستطيع المواءمة مع المجتمعات ، وغير قادرة على تحقيق الخير لها .

أما الشريعة الربانية فان ميزتها أنها تعلو فوق أهواء البشر لأنها من صنع الله القوى القادر ، فضلا عن استيعابها لمتغيرات المجتمع لأنها خالدة الى يوم تقوم الساعة ، ففيها ما يوائم البشرية ويصلح أحوالها وعلى المجتمعات أن تصـــوغ وجودها لتتفق مع شريعة الله لا أن تحاول تبرير أوضاعها عن طريق التأويل أو عن طريق الرخص .

* * *

(٥)

مواجهة خطر الاستلاب

كان هدف النفوذ الأجنبى ((استلاب)) حضـــارة الأمة التى يسيطر عليها ، ولقد كانت للحضارة الاسلامية ذاتية متميزة عرف خصوم الاسلام أنها قادرة على الوقوف فى وجههم ، ولقد كان سبيل الاستلاب الحضارى هو الاستلاب الفكرى ، وأسلوب الاستلاب هو تقديم المثال من فكر الغاصب .

((وســـلاح الاستلاب هو هدم الأسس والقيم لحضـــارة الأمة المستلبة والقضاء على مقومات ومظاهر حضارتها فى نفسها وقومها ، وفى الواقع المعاش . والهدف هو تجريد الأمة من كيانها الحضارى والروحى ليسهل السيطرة عليها اقتصاديا واجتماعيا وفكريا ويبدأ ذلك بأن تحتقر النخبة لغتها الوطنية وقيمها المعنوية والروحيـــة والدينية والأخلاقية ، وتستطلع الى النموذج الوافد كمثل أعلى ، وعنـــدما تتخلى الأمة عن فنونها وآدابها لتقتبس أساليب أخرى تذهب بذاتيتها وميزتها الخاصة ، فتنصهر فى فنون الغرب وقيمه فتذهب هويتها التى صنعها الاسلام من أجل حمل أمانة الرســـالة العالمية ، وذلك هو الخطر الذى يواجه المجتمع الاسلامى اليوم وهو يتقدم باعجاب أمام نقل أسلوب (العيش الغربى) بكل فســـاده وسوآته واضطرابه تحت تأثير التقليد الذى يقوم به المغلوب للغالب فيذهل عن خصائصه التى يجب أن يثبتها ويدعمها ويحصنها ، وذلك باصراره على الانتماء الاسلامى الأصيل الى القرآن منهجا والرسول

قائدا واللغــة العربيــة الفصحى منطلقا والى تاريخه وزعاماته وبطولاته التى هزت الدنيا كلها وأقامت هذا الصرح الشـــامخ من الحضارات ذات المنهج الربانى المصدر ، الانسانى التطبيق .

ان هناك قوى كبيرة تحول اليوم دون وصول الأمة الاسلامية الى غاياتها ، هذه القوى تعمل على تغيير النمو الطبيعى للأشياء ، وتفرض أعرافا جديدة تمكنها من السيطرة ، وتحول دون وصول الأمة الاسلامية الى الاصالة . ومن ثم نجد أن أهل الحق غير قادرين على الانطلاق نحو الوجهــة الصحيحة حيث تفرض عليهم بدائل متعددة كالقومية والديمقراطية والاشتراكية هذه القوة تحول دون اتجاه الأمة الاسلامية الى غايتها وتفرض عليها حصارا كاملا ، يحول بينها وبين القدرة على الحركة الحرة على طريق الاصالة ، وبتوجيه هذه القوى القادرة على التوجيه تقوم دعوات سياسية واجتماعية لها كتابها ودعاتهــا ، وتجد هذه الدعوات طريقها الى منــاهج الجامعات والمدارس والثقافة وتجند لها الصحافة والأقلام والمسرح والحوار .

ثم يقال بعد ذلك : هذا هو الواقع ، وهذه هى ارادة الأمة الحرة ، أن المجتمع الاسلامى ما زال غير قادر على امتلاك ارادته فى السير نحو الطريق الأصيل الذى سار فيه منذ أربعة عشر قرنا ، طريق تراثه وقيمه وشريعته وما تزال تلك القوى تحول دون ذلك وتضع السدود والقيود حتى لا تصــل الى هذا الطريق وما تزال وسائل الدعوة الى كلمة الحق والخير محاصرة خافتة الصوت لم تجد العون الذى يدفعها الى الانطلاق .

لقد رفض المجتمع الاسلامى فكرة القومية والاقليمية والصراع الطبقى والديمقراطية والاشتراكية لأن له مفاهيمه الأصيلة فى العلاقة بين العرب والاسلام وبين الدين والدولة وبين الرجل والمرأة وبين الأسرة والمجتمــع . وقد افلست ايدلوجيات الراسمالية والليبرالية

والديمقراطية التى فرضت نفســها على بلادنا بواسطة النفــوذ الأجنبى — لا باختيارنا — لأنها أنظمة مجتمع آخر ، له مفاهيمه وقيمه ومثله الأعلى فى الحياة ، وله عقائده التى تختلف عن التوحيد والعدل والرحمة والاخاء البشرى التى قدمها الاســلام للانسانية ، كذلك افلست ايدلوجيات الماركسيين والشيوعيين والاشتراكيين ومذاهب الفردية والوجودية والبرجمانية . وكان معنى افلاس هذه الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية أن المسلمين ليس أمامهم الا منهجهم الأصيل ، وان الفطرة الاسلامية لا تعلق نفسها فقد رفضت الغريب ، وعجز الوافد عن العطاء النفسى والروحى ولم يبق أمام المسلمين الا منهجهم الربانى الأصيل .

« وليعلم قومنا أن الاسلام لا يواجه الواقع أيا كان ليبرره أو يقره أو ليلتمس له تعليلا يبقى عليه ، وانما يواجه الواقع ليزنه بميزان الحق فيقر منه ما يتفق مع كلمة الله ويلغى ما غير ذلك وينشىء واقعا جديدا على طريق الله . »

* * *

الثابت والمتغير

(٦)

القيم الإسلامية الأساسية

ان ميزة القيم الأساسية الاسلامية أنها ثابتة الجذور متطورة الفروع قادرة على مواجهة متغيرات الحياة تعطى الثبات للأساس وتعطى القدرة على الحركة مع الزمن . ولقد رسم الفكر الاسلامى الاطار المرن الواسع وأقام حرية الحركة داخله ، والايمان بالتغيير والحركة والتطور واضـــح فى الفكر الاســـلامى منذ قديم شريطة ألا يخرج عن نطاق الضوابط والحدود والمقومات الأساسية التى أقامها القرآن كالتوحيد والعدل والرحمة والاخاء الانسانى .

ان كل مصلح فى تاريخ الاسلام انما كان يضع الحلول والمناهج فى ضوء واقع أمته ومركزها وتحديات العصر الذى يعيش فيـــه ، فالغزالى وابن تيمية وابن حزم وابن خلدون كان كل منهم يصدر من جانب التحدى الذى يواجه العصر ولكنهم جميعا كانوا يهدفون الى غرض واحد هو المحافظة على الذاتية الاسلامية من أن تنصهر فى التيارات الوافدة التى عرفها الفكر الاسلامى بعد دخول الفلسفات اليونانية والفارسية والهندية وغيرها كان الهدف الأســـاسى هو تحرير الفكر الاسلامى من الاحتواء أو السيطرة عليه ، ولذلك فان دراسات حركة المعتزلة والفقه والكلام والفلسفة والتصوف منفصلة عن هذا الاطار لا يمكن أن تقدم نتائج حقيقية وليس من الخير اعادة تقديم هذه المعارك والمساجلات مرة أخرى اذ أنها جميعها قد انتهت الى قرار واضح ، هو صياغة المفهوم الاسلامى الجامع الذى أطلق

سر السيطرة الغربية

عليه مفهوم اهل السنة والجماعة ، وانما علينا الآن ان نلتمس عصارة الايجابيات فى هذه القضايا التى اثيرت بما يكشف عن عظمة الفكر الاسلامى وقدرته على العطاء الحق فان هناك ثروة ضخمة يمكن الانتفاع بها من دراسات التربية والأخلاق وبناء الانسان فى كتابات التصوف وان هناك دراسات العلوم التجريبية والنفسية والاجتماعية التى قدمها علماء الاجتماع والنفس ، شريطة ان تحرر هذه المعطيات من القيود المرتبطة بها ومن غواشى الخلافات والجدل. فالمسلمون الآن لا يعودون مرة أخرى الى أحاديث تحاول أن تعلى العقل أو المنطق الفلسفى أو أسلوب الذوق والوجدان ، فقد مرت هذه المرحلة منذ وقت طويل ، وقد برز مفهوم الأسلوب القرآنى الجامع المتكامل ، بعد أن تكشف ان أسلوب الاعتزال والفلسفة لا يستطيع أن يحقق عرض المنهج الأسمى الربانى الأصيل .

وان كانت تلك المرحلة قد حققت بعض النتائج حينما حررت الفكر الاسلامى من مفوم الجبرية الصوفية او أسلوب الجمود الذى كان يغشى آفاق العالم الاسلامى من قبل ولا يزال المنهج السلفى الاسلامى الأصيل هو المنطق الحقيقى للعمل .

التوحيد

ان غياب الروح الاسلامى أو التوحيد الخالص عن حياة المسلمين هو السر فى وقوع المسلمين تحت سيطرة الروح الغربى أو الشرقى على السواء ، وقد عرضت على المسلمين فى مجال السياسة الاقتصادية والآداب والفنون حلول ، أبسط ما يقال عنها أنها تشتت انتباه المسلمين عن مشكلتهم الأم ، وهى مشكلة حضارتهم حتى يربطوا اهتمامهم بمشكلات وهمية أو حلول مهلهلة ، ومن هنا وضع أمام المسلمين السؤال المطروح على عقل المثقفين فى العالم الاسلامى هل يستطيع الاسلام أن يستبدل بعقله وروحه عقلا جديدا وروحا جديدة حتى يرضى عنه الغرب أو الشرق ويمنحانه شهادة بجدارته وقدرته على الحياة ؟ واذا فعل الاسلام ذلك فهو من وجهة نظرهم يستطيع الاستمرار ، والا فانه يهلك ويصبح تراثا

قديما هذا هو الكمين المنصوب للاسلام وهو بمثابة مؤامرة خطيرة ، هدفها الاسلام من الداخل وتقليم أظفاره وتطويقه بحيث يصبح تراثا متخفيا يمنحه الغرب والشرق شهادة بالحياة .

والواقع أن حقيقة الاسلام تختلف عن هذا كله ولن تنصهر أبدا لا فى الفكر الليبرالى أو الفكر الاشتراكى بل سيظل الاسلام قادرا على المحافظة على روحه وفكره ومقوماته وهو يعلم تماما أنه اذا استغنى عن فكره وروحه سيفقد ذاته . والحل هو العـــودة الى التوحيد الخالص الى المنـــابع الأصيلة فى قوتها الدافعـــة وفهمها الواضح .

والمهم هو أن يدرك المسلمون البعد العميق الحقيقى للاسلام وهو تفرده بخصائص توجب عليه ألا ينضوى تحت لواء أية قوة أو أى فكر أو أية سياسة تخالف وجهـــه أو منطلقه أو منطلقـــه أو نهجه الربانى .

أن على مفكرى الاسلام أن يجيبوا على السؤال المطـــروح اليوم : ما هو المسلم وكيف يفكر وما هو موقفه ازاء تحديات الحياة وكيف يحافظ على روحه وكيانه الخاص بغير أن يذوب فى روح أخرى أو كيان آخر وفى نفس الوقت كيف يتعامل مع قضايا العصر التى يطرحها تجدد الحياة اليومية ؟

* * *

(٧)

النظرة القرآنية المتكاملة

نحن فى أشد الحاجة الى أن نقول لكل صاحب نحلة ، انه فى حاجة الى أن يبـدأ من نقطة التكامل الجامع بين القيم التى جاء بها الاسلام ، ثم تكون النظرة المفردة مرتبطة بالأصل ، غير منفصـلة عنه ، قادرة من خـلال موقعها الجزئى أن تتكامل مع القطاعات الأخرى .

النظرة القرآنية نظرة متكاملة ، تقوم على النظرة الجامعة ، وهى بناء ثقافى وحضارى وعقلى ووجدانى ، وهى جامعة لنظرات الفقهاء والمتصوفة وعلمـاء الكلام والأخلاقيين والمؤرخين والأدباء والفلاسفة فكل قطاع من هذه القطاعات يؤدى رسالة جزئية تتكامل مع الأجزاء الأخرى تحت مظلة الاسلام الجامعة .

نظرة الفقهاء تهتم بالجوانب التشريعية ونظرة المتصوفة تهتم بالجوانب الروحية والوجدانية ، ونظرة علماء الكلام تهتم بالعقائد ، ونظرة الأخلاقيين تهتم بالفضـائل والرذائل ونظرة المؤرخين تهتم بالسير والحوادث والوقائع ، ونظرة الأدباء والبلاغيين تهتم باللغة والأسلوب ، ونظرة الفلاسفة تهتم بما وراء الطبيعة . وكل هذه النظريات الجزئية تتكامل فى الاسلام تكاملا جامعا فلا تستطيع أى نظرية من هذه النظريات أن تنفرد بنفسها على أنها النظرة الاسلامية الجامعة .

ولعل من أكبر التحديات التى تواجهنا هذه النظرة الانشطارية

التى ورثناها عن الفكر الغربى الوافد ، ولعل أكبر أسباب الخلاف قيام جماعة الذين يعتمدون على منهج الحدس والذوق والبصيرة ، وجماعة الذين يعتمدون على العقل والحس والمنطق وكانت من قبل هى جماعتا الفقهاء والمتصوفة ، ولقد كان أكبر عمل المصلحين هو اقامة المنهج الجامع بين البصيرة والعقل ، أو منهج العقل والنقل اعتمادا على أن العقل يجب أن ينطلق من المفاهيم التى قدمها الوحى.

أما الفكرة العقلانية المجردة التى جاءتنا من الفــكر الغربى والتى عرفناها قديما فى نظريات الفلاسفة والمعتزلة وعلماء الكلام فانها لم تستطع أن تحقق شــيئا كذلك فان نظرة أهل الوجدان فى اعتماد الحدس والبصيرة وحدهما لم تحقق شيئا وظل الصراع قائما حتى التكامل الجامع فيما طرحه الامام الغزالى والامام ابن تيمية .

اننا فى أشد الحاجة الى أن يتصوف ويتسلف المتصوفة لننطلق جميعا من المنطلق الاســلامى الجامع للقلب والعقل ، وهو نفس المنطلق الذى جاء به القرآن الكريم .

لقد وضع القرآن كما يقول الأستاذ سيد أبو المجد اســـاس المعرفة واستوعب طريق وسائل المعرفة جميعا وجعــل منها كلا متكاملا غير قابل للتمزق .

وضع القرآن مفهوم المعرفة الجامع على أساس الكم والكيف والمادة والروح والغاية والسبب وربط القرآن بين الحواس والعقل والوجدان ووضع أهم القواعد التى تحفظ العقل من الزيغ ، وهو عدم تجاوز الحد وان الغيب فوق طاقة العقل وقدرته ، كما دعا الى التقدير والتقرير وعدم التعجل فى الحصول على النتائج قبل استكمال البحث والموازنة والاستقراء ، ودعا الى التخصص قبل البحث وعدم المكابرة والعناد ودعا الى المواجهة والمعاودة والاستمساك بالحق ، والبعد عن الغرور والجهر بالحق والدفاع عنه .

ان من اخطر ما نواجهه اليوم ذلك التمزق الفكرى حيث تعلو صيحة التخصص فهذا متخصص فى اللغة ، وهذا فى الفقه ، وهذا فى العقائد ، وهذا فى التاريخ ، وهذا فى الفلسفة ، وهذا فى التربية وهذا فى الاجتماع .

هذا التخصص ضرورة وهو عمل نافع ، ولكن قيام الأسوار بين التخصصات من شأنه أن يفسد النتائج التى تنتظرها الأمة .

ان الدعوة الاسلامية هى دعوة جامعة تتكامل فيها كل هذه العناصر فنحن متخصصون فى مجال العلم ولكننا متكاملون فى مجال الدعوة علينا أن نصب هذه التجارب المتخصصة كلها فى بوتقة الدعوة الاسلامية حتى يمكن الانتفـاع بها من أجل بناء المنهج الاسـلامى الجامع الأصيل .

لقد كان الفكر الاسلامى فى أبان مجده وقوته فكر دعوة جامعا متكاملا تلتقى فيه كل التخصصات على قاعدة الانتفاع به ، أو التكامل بين العنـاصر أما المتخصص بالمفهوم الغربى الذى يتوقف عنـد الجزئيات فانه لا ينفع بالنسبة للفكر الاسلامى القائم اساسا على النظرة الجامعة فاينبغى لكل مفكر متخصص أساس عال واسـع عريض من النظرة الاسلامية الجامعة أولا التى تحيط بكل العناصر والتى تعرف مكان هذا التخصص على الخريطة الواسعة ثم يكون التخصص مرتبطا بخيط واضح الى الدعوة الاسلامية الجامعة لكل الفروع والتخصصات .



وبذلك يستطيع الفكر الاسلامى أن يخرج من هذا القيد الذى يحاول أن يحجبه فى جزئيته والمستفيد من هذه الدائرة المغلقة هو الفكر الغربى فكر التغريب الذى ينظر الى الفكر الاسلامى فى حربه اياه ككل لأنه يعرف أن تكامل الفـكر الاسلامى هو المنطلق الأول لوحدة الفكر الاسـلامى التى هى أساس بناء حضارة الاسـلام المتجددة .

الهزيمة النفسية أمام الحضارة الغربية

(٨)

المفهوم الإسلامى الجامع

علينا أن نعمل على تصفية نفس الفرد المسلم من عقدة النقص تجاه الثقافة الغربية الحديثة فى صورتيهما المتقابلتين اللتين واجهتانا فى احتكاكنا مع الغرب فى صورتى الفكر الليبرالى والفكر الماركسى ، وهما فكران لهما مصدر واحد هو النظرية المادية .

فالفكر الماركسى لم يكن الا رد فعل لتجاوزات الفكر الليبرالى ، فليس احدهما منهجا اصيلا صالحا للبشرية ، ولكن احدهما كان استجابة للأوضاع التى عاشتها اوروبا بعد ظهور عصر الصناعة والآلة والاستعمار ونهب الثروات من البلدان التى استولوا عليها ، فى خلال ذلك نشأت تلك الفلسفة التى تحتقر الملونين ، وتحاول أن تبرر السيطرة على هذه البلاد بمراوغات تسمى التمييز الجنسى واللونى ، وهى كلها دعوات كاذبة أثبتت المراجعات العلمية كذبها وفسادها ، وتأكد أن العقل البشرى قادر فى أى مكان سواء فى جنب افريقيا ، أو الاسكيمو على العطاء متى توافرت له الظروف وتهيأت البيئة . ولقد خدع المسلمون طويلا بتلك النظريات التى طرحتها الليبرالية ثم الماركسية ، ولكن التجربة هناك ، وما جرى هنا فى العالم الاسلامى من متابعة على نفس الوضع أثبتت فشل هاتين التجربتين ، بل ان العالم الآن يصرخ مطالبا بنظام أقتصادى جديد فضلا عن فساد التجربة الاجتماعية والحضارية وما يتصل منها بالعلم والتكنولوجيا ، وانحرافها عن النهج الصحيح الذى يؤدى الى سلامة التوزيع وعدالة العطاء .

لقد فشل الاتجاهان الليبرالى الغربى والماركسى الشيوعى ، ولا يعنى هذا قطع الحوار مع الغرب ، ولكن يعنى فشل التقليد فى تجاوز أزمة الحضارة المعاصرة ، ومن ثم فان هناك منهجا جديدا يستطيع أن يعطى الانسانية كل مطامحها التى تتطلع اليها من وراء الايدلوجيات ، ذلك هو « الحل الاسلامى » .

ولم يعد فى الامكان ألا أن يتوجه المسلمون الى منهجهم الأصيل لتربية أجيالهم واقامة المجتمع الربانى ، وذلك بالالحاح على تكوين العقيدة المؤمنة بالله الواحد ، خالقا ورازقا ، ورد كل أمور الحياة والمجتمع والعلم والحضارة الى منهجه الصحيح ولا بد من مولد الانسان المسلم ميلادا جديدا ، والخروج من الدائرة المغلقة التى حبست الحضارة الغربية المسلمين فيها .

« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

أعتقد أننا على رأس القرن الخامس عشر قد وصلنا الى « اكتشاف الذات » والتعرف على الاصالة ، والتماس الرشد الفكرى .

ان هناك حقيقة أساسية يجب أن ننتبه اليها ، لقد انفصل الفكر الغربى عن قاعدة الايمان بأن مصادر قواميس الكون وقوانينه قد أرساها الله تبارك وتعالى ، وبذلك وقع الانفصام بين العلم والايمان ، بين المادة والروح ، كذلك فقد انفصل الفكر الغربى عن قاعدة ارتباط خلافة الانسان فى الأرض بشرط عبادة الله تبارك وتعالى ، وتحقيق غاية الوجود الانسانى ، وهو اقامة منهج الله . ان الفكر يريد أن يبعد ارادة الله عن غاياته ووسائله ، وبذلك يبعد حدوده وضوابطه ، ولو عقل لعرف أن الحضارة والعلم هنا عطاء الله تبارك وتعالى عن طريق عقل الانسان ولذلك فلا بد لنجاحهما أن يسيرا فى طريق الله والى غايته .

اذن فلا بد من العودة الى المفهوم الأصيل حتى يمكن تصحيح مسار البشرية الحق .

ولا بد من معرفة « مهمة » الانسان فى الأرض ، وانه مستخلف لتعمير الكون فى اطار بناء منهج الله تبارك وتعالى ، فاذا انحرفت الحضارة عن هذا المعنى ، ونسيت ، أو تجاهلت هذا الهدف حق عليها أن تنهار كما هى اليوم .

ان العلم الآن يقدم مادة ملتهبة لتدمير البشرية .. ولكن العلم فى مفهوم الاسلام يجب أن يتدم عطاءه لاسعاد البشرية ، وأن يكون الأمر عادلا بحيث يشمل الناس جميعا ولا يكون قاصرا على قلة قليلة من الثراة ، أو أن يكون قاصرا على أمة بعينها أو دولة بعينها ، أو أن يكون موجهـــا الى الاسراف فى محاولات الترف أو التسلح وتخزين القذائف وانما يكون ذلك كله موجها للتجمعات الفقيرة ، فهذا حقها ، ومن ثم تسقط تلك الدعوى المضللة التى تقول بالانفجار السكانى ، وهى فى الحقيقة ليست الا الجشع الذى يريد أن يعطى ٦١ فى المائة من سكان العالم ما يوازى ٦٠١ فى المائة من نتاجها وأن تترك البلاد التى تصدر الثروات العالمية الضخمة فقيرة مدقعة .

لا بد أن يعتدل الميزان ليكون المجتمع البشرى ربانيا وتتجه الحضارة الى الاصالة ، وان فانهما سوف يسقطان كما سقطت حضارة الرومان والفرس واليونان التى أسقطها الانحراف والفساد والاباحية ، وسوف يتحقق منهج الله ويقوم المجتمع الربانى .

❊ ❊ ❊

تكامــل القيـــم

على المسلم فى رحلة العمل أن يبدأ من منطلق الايمان ، ويقدر معنى العبودية لله ومعنى تزكية نفســـه من خلال انتمائه لدين الله الحق واسلام وجهه لله واعلان عبوديته الخالصة للخالق العظيم ، فلا عبودية الا لله تبارك وتعالى وحده والانسان مستخلف فى الأرض والكون كل مسخر له من أجل عبادة الله بعمارة الأرض .

والاسلام لا يقر عبادة الله فى العــزلة عن المجتمع ، ولكن بالحركة داخل المجتمع وبتطبيق الاسلام مع خلق الله فى المعاملات بالعدل والاحسان والرحمة والغيرة فاخوانه البشر ليسوا مسخرين له فلا يحق له أن يستغلهم أو يظلمهم ، ورباط الرحمة يجب أن يسود الأسرة والمجتمع وكل من تعرف أو تتعامل وعلى المدى الأوســـع « تعارف » الأمم وامتداد العلم والخير الى كل مستظل بظل الاسلام فالانســـانية جميعها وأن تستخدم الأمم علمها وفكــرها وعطاءها للآخرين بالمودة والرحمة وهذا معنى الخلافة فى الأرض فى مفهومها الرشيد ومعنى العطاء بسماحة واخلاص دون تكبر فى الأرض .

وفى هذه النقطة يتمثل مفهوم الحضارة الاســـلامية ، الذى يختلف بل ويتعارض مع ما نراه فى الحضارة الغربية اليوم من انانية واستعلاء بالعنصر وحجب لمعطياته عن من يسمونهم الشـــعوب المتخلفة ، وهذا تتميز به الحضارة الاسلامية عن جميع الحضارات التى عرفتها البشرية وهذا هو ما يعطيها الضوء الذى سيفتح لها الى الطريق فى مقتبل البشرية .

يقول السيد محمد نجاة الدين الصديقى : ابتكر المسلمون الأوائل مجموعة متكاملة من القوانين التى تؤهلهم لحيـاة كريمة تتمشى مع التعاليم الربانية المنزلة ، لقد بدأوا بدراسة الانسـان توطئة لعملية التحول الاسلامى وجددوا سـير الحياة المثـلى ، اقتصاديا وسياسيا ، وكان اهتمامهم بالعدالة الاجتماعية كبيرا لأن فى ذلك رضاء الله سبحانه وتعالى ، أتبعوا القول بالعمل فى الزراعة وتربية الحيوان والصناعة والتجارة . وبذلك كانت نظرتهم وافيـة للمتطلبات المادية فى اطار الأخلاق الفاضلة والقيم الروحية ، وألحوا على البحث عن المعرفة النافعة والحث على تطبيقها لتحقيق المجتمع الصالح بغية رضاء الله تبارك وتعالى . كانت من خصائص هذه المرحلة من نتائج المثل التى جاءت من التوحيد الذى ينادى بالحرية المنضبطة والأخلاق الكريمة .

وهكذا قدم الاسلام مفهوما للحضارة يختلف عن مفهوم الأمم والحضارات السابقة قوامه عبادة الله تبارك وتعالى بالعلم والعمل والخلق والمسئولية الفردية ولقد وعى هذا المعنى بعض الباحثين الغربيين : قال جورست « لسنا فى الاسلام طاقتين عجيبتين هما التجـدد والخلود ، ومن يكن له مثـل تلك الخاصـتين ، لا يفنى ولا يبيد » .

تلك هى دعائم الاسلام الثـلاث : (العقيدة ، المعـرفة ، الحضارة) .

١ ــ العقيدة : ايمان بالوحدانية واعتراف بالنبوة وتمسك بالوحى وأيمان بيوم الحساب .

٢ ــ المعرفة ، تستمد اصالتها ونضجها من القرآن كلام الله ثم من السنة ، وتولدت عن المعرفة خشية (انما يخشى الله من عباده العلماء) .

٣ ــ التجربة : التحليل الدقيق واستخدام الطرائق والمناهج

وقد اقتحم الاسلام التجربة وتفتحت أمامه آفاقها ومنها جاء المنهج التجريبى عماد الحضارة الغربية الحديثة .

نعم لقد حرر الاسلام البشرية من الوثنية (عبادة غير الله) ومن العبودية (عبودية الانسان للانسان) ومن التبلية (الاستعلاء بالدم والعنصر) ومن البدوية (الاقامة فى البادية) ودعاة الى التحرر منها فى سبيل بناء الحضارة ، بالتوحيد والتعارف ، والتماس جميع المعارف الموروثة ودراستها وتحليلها وكشف الصحيح من الزائف ، وصهر الصحيح فى اطار التوحيد ، وبذلك حرر البشرية من فساد الحضارات القديمة ودعاهم الى عبـــادة الاله الواحد الأحد واسلام الوجه له واقامة المجتمع الربانى وجمع كل من قال (لا اله الا الله) تحت لواء الأمة الواحدة فالاسلام جنسية والاسلام نسب ، وبذلك أحل قرابة الايمان والعقيدة ووحدة الفكر محل قرابة الدم ، وحارب العصبية القبليـــة ونتلهم الى المدنيـــة فى الأقاليم الخصبة والمدن المفتوحة ومزجهم مزجا قويا على مبدأ الاخاء ودعاهم الى الانطلاق فى آفاق الأرض مبلغين كلمة الله ، فذهبوا فى اقل من ثمانين عاما الى سور الصين العظيم شرقا والى نهر اللوار فى قلب فرنسا غربا .

وصدق من قال : اننا نجد فى الاسلام دعوة رصينة للتقـــدم تربط ربطا متينـــا بين الماضى والحاضر والمســـتقبل ، وبين المادة والروح وبين الدنيـــا والآخرة ، على جميع الجبهات طولا وعرضا وعمقا فالتقدم ليس حتما مخالفا للقديم أو ضدا له اذ هما يرجعان الى نفس المادة فى لغـــة العرب . ولعل الحضارة الاســـلامية فى جوهرها أميل الى التجديد والتطور والتغيير فى الفروع والى الثبات فى الأصول (حدود الله ومقومات المجتمع) ولكن المسلمين ذهبـــوا فى السنوات التى سبقت اليقظة الى الاستسلام والفتور والجمود تحت مفهوم الجبرية الصوفية والآن وقد رفعوا عنهم هذا المفهوم بالتماسهم منهـــج القـــرآن الأصـــيل فى منابعـــه فهم على أبواب عصر جديد .



(١٠)

مواجهـــة التغـــريب

لا يزال المسلمون يقاسون من محاصرة حركة التغريب لفكرهم الاسلامى .

والتغريب كمــا قال دعاته هو خلق عقلية جديدة تعتمد على تصورات الفكر الغربى ومقاييســه ثم محاكمة الفكر الاســلامى والمجتمع الاسلامى من خلالها بهدف ســيادة الحضارة الغربيــة وتسييدها على حضارات الأمم ولا سيما الحضارة الاسلامية .

والتغريب هو حمــل المسلمين والعرب على قبول ذهنيــة الاستسلام والاحتواء والتحرك من داخل دائرة الفكر الوافد واخراج المسلمين من دائرة قيمهم بما يخلق شــعورا بالنقص فى نفــوس المسلمين وتحريف التاريخ الاسلامى وتشويه مبادىء الاسلام وثقافته وانتقاص الدور الذى قام به فى تاريخ البشرية ، ويهدف التغريب الى خلق أجيال جديدة من المسلمين والعرب تحتقر مقــومات الحياة الاسلامية والشرقية وابعاد العناصر التى تمثل الثقافة الاسلامية عن مراكز التوجيه ، وتدمير البطولات العربية والاسلامية والتشكيك فى عظمتها وفى مقدمتها الرســول الكريم وصحابته وابطال الاســلام ومفكريه ، واخطر محاولات التغريب « وضع البديل » فى مواجهة الأصيل والعمل على تقديم بدائل سريعة ذات مظهر لامع وتحوطها هالة من الدعاية لخنق كل فكرة أصيلة ولتحويل الرأى العام عنها

فى ظل طوابعـــه من الاغراء والتزييف وتحت اسم البحث العـــلمى والعبارات البراقة الخادعة .

ودعاة التغريب أكثر الناس استعمالا للأساليب الممقـــوتة فى البحث عن الحماسة الى التقريرية الى التعميم فى الأحكام الى التقاط المصادر غير الموثوق بها وتغليب الهوى والآراء المسبقة التى يواجهون بها الأمور ويبحثون عن نصوص لتأييدها .

ولقد اعتمـــد التغـــريب على مصـــدرين « الاستشراق » و « التبشير » والتبشير ليس ادخال المسلمين فى المسيحية بقـــدر ما هو اخراجهم من الاسلام ، وقد تركز الآن فى صورة خفية مضللة فى مجال التربية والثقافة .

يقول هاملتون جب : فى كتابه وجهة الاسلام (لقد استطاع نشاطنا التعليمى والثقافى عن طريق المدرسة العصرية والصحافة أن يترك فى المسلمين ولو من غير وعى منهم أثرا يجعلهم فى مظهرهم العام « لا دينيين » الى حد بعيد ولا ريب أن ذلك خاصة هو اللب المثمر فى كل ما تركت محاولات الغرب لحمل العالم الاسلامى على حضارته من آثار .

وتتمثل أعمـــال التغريب فى محاولات خطيرة تستهدف مفهوم الاسلام واصالة فكره :

١ — هناك محاولة لتسليم (أهل السـنة والجماعة) الى الفرق الضالة والمذاهب المنحرفة كالقاديانية والباطنية .

٢ — محاولة صهر النظريات الغربية والوجودية والديمقراطية فى اطار الاسلام واقامة جسور وقناطر بين الفكرة الاسلامية وهذه النظريات ومنهـــا محاولة الماركسيين فى الدعوة الى الالتقـــاء بين الاسلام والماركسيين مع العـــلم بأن الماركسية والاســـلام لا يمكن أن يلتقيا .

٣ — محاولة تفسير التـاريخ الاسـلامي تفسـيرا ماديا أو ماركسيا يحاول أن يتبع العوامل الاقتصادية ليجعل منها نقطا لتحرك التـاريخ الاسلامى أو ايجاد التفسير المادى المنـكر للغيب والنبوة وما وراء المادة .

٤ — محاولة وضع الشريعة الاسلامية فى مجال تبرير الواقع المعاصر فى الأمم المعاصرة والحضارات المعاصرة وذلك بالقول بأن الشريعة الاسلامية مرنة وانها تقوم على قواعد عامة ترتضى القوانين الوضعية مع تعديلات يسيرة وهو قول باطل كل البطلان .

٥ — محاولة التقليل من شأن الفصحى واعلاء العامية بالدعوة الى ما يسمى باللغة الوسطى ، أو محاولة كتـابة القرآن بطريقة الاملاء الحديثة وبالرغم من أن نظريات تغريبية كثيرة سقطت فان هناك محاولات جديدة لاعادتها بأسلوب آخر ، وهناك قضايا يجب أن يكون واضحا أمام المثقف المسلم مدى الاختـلاف العميق بين مفهومها الاسلامى ومفهومها الغربى وهناك ثلاث قضايا كبرى : هى قضية التقدم وقضية التطور وقضية نسبية الأخلاق ، فالتقدم فى مفهوم الاسلام تقدم مزدوج ، مادى وروحى والتطور يعنى أن ما هو قائم الآن اكثر تقـدما مما مضى ، وهو مفهوم خاطىء فان التطور لا يعنى أن الحاضر خير من الماضى ونسبية الأخلاق تجعل الأخلاق لباسا يضيق ويتسع مع العصور والبيئات بينما الأخلاق قيم ثابتة مع كل العصور والبيئات والأخلاق ثابتة ثبوت الدين بينما التقاليد تصنعها المجتمعات .

* * *

عصارة رسالات الانبياء

نقل الاســلام ((البشرية)) من الاعجاز المادى الى الاعجاز المعنوى من الخوارق الى آية البيان الكبرى ((القرآن)) ومن المعجزة الحسية الى الايمان : ايمان العقل والقلب ، (وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون) كانت الآيات والخوارق : شــأن البشرية قبل أن تنضج أما وقد أصبحت البشرية قادرة على تقبــل رسالة عالمية فقد جاء الاسلام عصارة رسالات الانبياء معجزة يراها من عاشها .

فقد استطاعت خلال أقل من ثمانين عاما أن تمتد من حدود الصين شرقا الى حدود فرنسا غربا بينما لم تكتمل الدولة الرومانية امتدادها الا بعد الف عام . ولقد جاء الاسلام رسالة عالمية وانسانية وربانية تخاطب العالمين وتتحدث الى العقل والقلب الى يوم القيامة : بالفطرة والعلم والمثل الأعلى قال صلى الله عليه وسلم ((ما من نبى الا أوتى الخوارق أما أنا فقد أوتيت وحيــا يتلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة)) .

قدم الاسلام منهجا ربانى المصدر ، انسانى الهدف ، عالمى المنطلق ، جامعا بين الروح والمادة ، والعــلم والعقل ، والدنيــا والآخرة فاستجابت له الفطرة السليمة لأنه لم يحمل أحدا على فهم معقد أو نظرية فلسفية أو منطقا معقدا . لقد جمع الاســـلام بين الزمنى والروحى والمطلق والنسبى واللا نهــائى والمحدود وبين

الأرض والسماء وخلود الآخرة وفناء الدنيا وفيه لا تتم الدائرة الا بعد التقاء التوسين .

الروح والمادة الفرد والجماعة ، والعقل والقلب ، ولما كانت الدائرة الكهربائية تتم بالسالب والموجب معا فى وقت واحد وهمـا متضادان حين يخرج الضوء وتظهر الطاقة ، ولا يستلزم التضـاد بين السالب والموجب حـدوث الصراع بينهمـا أو التصـادم بين المتضادين ، بل لقاء المتضادين برسم دائرة التكامل .

وقد جمع الاسلام بين الادراك الحسى والادراك العقلى وادراك البصيرة وامتاز الاسلام على غيره من الديانات الأخرى بكونه مذهبا وعقيدة ، ومن شأن هذا التكامل : القدرة على مواجهة التحديات واعطاء الحلول الفعالة والصالحة ، وتجاوز حدود الزمان والمكان التى تسيطر على الدعوات والمذاهب البشرية ، والثبات الذى هو اطار الاسلام انما يشير الى ثبات خلق الله للانسان الذى هو هو لم يتغير بعواطفه وخلجاته وبتحالفه وتخاصمه وبحروبه وأهواله ، والثبات فى الاسـلام يتمثل فى أن الحق واحد لا يتعدد « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » والاسلام أهداف ثابتة ووسائل متغيرة وثبات فى الأصول وتغير وحركة فى الفروع .

ومن تكامل الاسلام : نفسا وعقلا يتحقق تربية العقل وتحريره من الضلالة ، وتربية النفس وتحريرها من الأهواء .

قال الامام الترمذى : انا وجدنا دين الله مبنيـا على ثلاثة اركان : على الحق والعدل والصـدق ، فالحق على الجوارح ، والعدل على القلوب ، والصدق على العقول . فاذا افتقد الحق من عمل خلفه الباطل ، واذا افتقد العدل خلفـه الجور ، واذا افتقد الصدق خلفه الكذب .

ان أبرز معطيات الاسلام : الترابط بين الفكرة والتطبيق ، ورفض مبدأ العلم لذاته واقرار المبدأ الذى يؤكد أن العلم انما يطلب من أجل العمل به والاستفادة منـــه فى تحسين الحياة الانســـانية وتقدمها ، ذلك ان طبيعة الانسان تجمع بين قدرة النظر وقدرة العمل تحصيل العلم وتقويم العمل وان فقدان هذه القدرة العملية من شأنه أن يعوق التقدم .

لقد حل الاسلام ثلاثا من أخطر قضـــايا البشرية على مدى العصور :

١ ــ العنصرية ٢ ــ القبلية ٣ ــ الطبقية

فقد شجب الاسلام العنصرية وأحل بدلا منها الاخاء وشجب الاسلام القبلية وأحل محلها التعارف ، وشجب الاسلام الطبقية وأحل محلها التضامن .

وقد أتاح الاسلام الفرصة للجميع على قدم المساواة والتعاون فى الاسلام يرجع الى القدرات والمواهب والخبرات هذه التى تأتى على طريق الخصائص والصفات النفسية والفكرية والجسدية .

وقد جاء الاســـلام عقل وقلب ونور العقل وأشواق القلب وكلاهما يستمد من الوحى « ألهم قلوب لا يعقلون بها » .

فهو عقيدة تخاطب العقـــل بالدليل والبرهان وتخاطب القلب بالايمان وهى الى ذلك كل لا يتجزأ لأن العقل والقلب ليسا ألا جهازا واحدا وسلم القيم فى الاسلام يبدأ من الايمان والأخلاق والتقوى وطاعة الله فى أول القائمة لا يتقـــدم عليها شىء والأخلاق مرتبطة بالعقيدة أما الحرية والمحافظة على الشخصية وتنمية الثروة فتأتى بعد ذلك وتتحرك فى ضوء التقوى والأخلاق .

وما يزال منهج القرآن هو الورد الأكبر ومناهج العلوم والتربية

والاقتصاد هى روافد من النهر الكبير منـــه تستمد واليه تعـــود ولا تستطيع أن تقوم بذاتها واذا انفصلت ماتت .

وفارق كبـــير بين مذهب جامع متكامل وبين مذهب جزئى ، مذهب مادى خالص أو روحى خالص يختلف تماما عن مذهب جامع بين الثبات والتطـــور والروح والمادة والواقع والغيب والحرية والعدل .

والواقع المشاهد هو نقص منهج الانسان والنفس والمجتمع فى الديانات الأخرى واكتماله فى الاسلام فنحن نرى رهبانية المسيحية ومادية اليهودية والتناقض بين التوراة والانجيل .

والمنهج العلمى فى البحث الاسلامى : هو الخروج عن الذاتية والظن وما تهوى الأنفس الى الدليل والبرهان « قل هاتوا برهانكم »

ومن هنا حاجتنا الى التفرقة بين التقاليد والأخلاق ، والتفرقة بين العقيدة والتاريخ والتفرقة بين الأصيل والوافد .

* * *

مظاهر التغريب والعجم حوره ههم

المنـــابع الأصـــيلة

ينبغى أن يؤخذ الاســـلام من المنـــابع الأصـــيلة وعلى الأمة الاسلامية أن تتحرر من عبودية التقليد سواء فيما دخل على الأمة فى ماضيها أو فى حاضرها مما يعارض الاصالة والفطرة . وخاصة ما يتعلق بالحيل الفقهية أو تبرير الواقع الفاسد ولا بد من العمل على تخليص الاسلام من التاثير الأجنبى وخاصة فى مجال السياسة والاقتصاد والاجتماع .

وقد اتفقت وحدة الراى ان مبـــادىء الاســـلام هى المؤهل الحقيقى امام المسلمين كوسيلة للتقدم العقلى والعلمى والاجتماعى .

وليس اى طريق آخر من الطرق التى يدعيها فريق مضلل يحمل اليوم سترة الاسلام ليفت فى عضد المسلمين بالرخص أو يدفعهم الى قبول الواقع المختلط الذى خلفته الحضارة الوافدة مع سوء فهم المسلمين لها او عجزهم عن التحرر من آثارها .

ان خطأ التقليد هو انمحاء الذاتية الاسلامية على مر الزمن فالدعوة العصرانية فى فهم تيسيرات الاســـلام هى جزء من مخطط التغريب وهى دعوة الى الذوبان فى الغرب .

لقد حرص الاسلام على وجود الشخصية الاسلامية المتميزة :

لتتبعن سنن من قبلكم شـــبرا بشبر ، وذراعا بذراع حتى لو سلكوا « جحر ضب » لسلكتموه قلنا يا رسول الله : اليهود والنصارى ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : فمن !

وهذا هو ما يحدث الآن :

تقليد فى مناهج الفكر وتصور الأمور (ماركسية وليبرالية) .

تقليد فى أسلوب العيش (فى الأخلاق والعادات والتقاليد) .

تقليد فى مفهوم الحرية الخاطىء (بعيدا عن الأخلاق التى هى جزء من الدين) .

تقليد فى السفور والفجور واباحة الاختلاط وهتك الحريات وغشيان الملاهى .

تقليد فى القوانين الوضعية التى تحل الربا وتبيح الزنا .

تقليد فى القوميات والعصبيات .

تقليد فى التشريع والنظم والقوانين والاقتصاد والتربية .

تقليد فى الاستهانة بالعقيدة .

تقليد فى الذوبان فى الغرب وفصل الدين عن الدولة .

هذه المتابعة على الطريق الذى يرسمونه عن طريق الصحافة والثقافة ومعاهد الارساليات فى تناول الأمور وتصور الأحداث هو متابعة على « جحر الضب » ونحن لدينا صيحة القرآن واضحة وصريحة :

« يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين أوتوا الكتاب يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين » .

قال محمد اقبال : **لا خطأ فى الاسلام وانما الخطأ فى طريقة اسلامنا** . نعم : لا يمكن أن يكون الاسلام مسئولا عن التدهور ، ان الاسلام محجوب الآن بالمسلمين وان الغرب يخاف نهضة المسلمين من خلال الاسلام ولن ينهض المسلمون عن أى طريق آخر فكل الطرق المعروضة عليهم **انما تهدف الى استنزافهم وتعويق مسيرتهم**

بل وتحويل طرقهم الى « التيه » وعلى هذا يتركز مخطط الاستعمار والتغريب والاستشراق والتبشـــير فى هذه المرحلة : أول القرن الخامس عشر .

ان الاسلام يقـــدم وحدة الفكر التى هى « العروة الوثقى » التى تجمع حولها المسلمين ويركز الاسلام مفهوم الحضارة فى أن التكوين الفردى هو اساس التقدم وان التقدم العلمى هو حاجتنا الوحيدة من حضارة الغرب شريطة أن نصهره فى بوتقة العـــدل والرحمة والاخاء الاسلامى .

ان الفكر هو الذى يقـــود المجتمع والفكر يسبق السلوك ، ولذلك فان تصحيح المفاهيم من شأنه أن يخلق قوة فكرية قادرة على التوجيه فى مجال الحياة ، ان الانسان فى نظر الفكر الغربى حيوان والمسيحية تقول ان الانسان آثم بحكم ولادته والهندوكية والبوذية تقول انه مجبور التناسخ والاسلام وحده هو الذي يقول انه سيد الكون تحت حكم الله .

والاسلام يعنى الاستسلام والانقياد والاتباع ، واسلام الوجه لله ولمنهجه ، فالفكر الاسلامى هو ذلك النمط من التفكير الذى يصدر عن مؤمن يحمل هذا المفهوم الخالص ويجب التفرقة بين الفـــكر الاسلامى والمعلومات الاسلامية ، فالفكر الاســـلامى : واقع حى بخصائصه واصالته تتجـــدد قادر على العطـــاء فى كل الظـــروف والبيئات .

والاسلام أنزله الحق تبارك وتعالى « وحى » ، « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » وما أجدرنا أن نفرق بين الوحى المنزل الذى هو الاسلام وبين الفكر الاسلامى وهو التأمل واعمال النظر فى ذلك الوحى وما خلفه لنا السلف الصالح من احكام فقهية وآراء علمية فى التفسير والحديث هى اضواء كاشفة على « القرآن والسنة » تمدنا بالوجهة والأسلوب والخبرة والتجربة وتمكننا من مواجهة أحداث عصرنا .

الفصحى لغة القرآن

ما تزال اللغة العربية الفصحى هدفا من اهـــداف التغريب والغزو الثقافى وعلى مدى العصور تبرز كتابات تعارض الفصحى تحت اسماء براقة أو أكاديمية تحمل مدخلا علميا خادعا وانما تستهدف فى الحقيقة مهاجمة الفصحى لأنها لغة القرآن الكريم وبعد أن كان جبران خليل جبران يقول فى جراة « لى لغتى ولكم لغتكم » .

فى الثلاثينات نجد اليوم الدكتور لويس عوض يكتب كتـــابا فى اكثر من خمسمائة صفحة تحت عنوان « مدخل الى قضية اللغة العربية » يحاول أن ينال فيه من الاعجاز والقرآن واللغة والعرب ويلتمس نصوصا مستوردة من هنا وهناك لتخدم هدفه الذى حدده مسبقا وحاول أن يجمع الشبهات من أجل اعادة تقديمه مرة أخرى بعد أن ردد هذه السموم كلها مرات ومرات منذ صدر كتابه (بورتلاند عام ١٩٤٧) حيث حمل فيه على الفصحى ودعا الى العامية .

الحقيقة أن الهدف ليس هو اللغة العربية ولكنه القرآن الكريم الذى وحد العرب وحفظ للعربية كيانها أربعة عشر قرنا فلم يمكن أن تتحلل كما تحللت لغات العرب وذلك بفضل القرآن الكريم ، ان الحملة على اللغة العربية بدات منذ قرن تقريبا وبدات بشبهات اثارها (ويلكوكس وويلمور) وغيرهما ثم ظهر من التغريبين من حمل لواء هذه الدعوة مثل لطفى السيد وسلامة موسى وغيرهم .

ان الهدف الذى تجرى وراءه قوى كثيرة هو القضــاء على اللغة الفصحى واحلال اللغة العامية محلها وذلك حتى ينفصل البيان العربى والأسلوب العصرى عن بيان القرآن . فتحدث فجوة من شأنها ان تتسع عاما بعد عام حتى يقرأ القرآن فيما بعد بواسطة قاموس ولما كان هذا لن يحدث اساسا فان المحاولة التى يقوم بها الاستشراق والغزو الثقافى لم تتوقف وعلينا أن نكون فى تمــام اليقظة لمواجهتها لأنها موجهة الى الاسلام وليس الى اللغــة العربيــة .

ان اللغة العربية هى مفتاح فهم الاسلام والاحاطة به وبدونها سوف تضيع معالمه ، ويجهل الناس حقائقه وتعاليمه ووسائل الحرب خادعة ماكرة لا تواجه الأمور مواجهة لأنها تعرف مدى حساسية ذلك ولكنها تعتمد أساليب ماكرة تحت أسماء « التطوير » و « التهذيب » و « الاصلاح » وتحاول أن تتحدث عن النمو واســلوب الكتابة وحروف الكتابة وغيرها وهناك محاولات أخرى تجرى داخــل المجامع اللغوية حول دراسة اللهجات ونود ان تكف تلك الجهات فى محاولاتها تلك فان اللهجات العامية لا يمكن . كما يقول الأمــير مصطفى الشهابى : أن تكون لغات علم وأدب وثقــافة وليس فى مقدورها أن تعيش طويلا أو أن يعم بعضها أو كلها الأقطار العربية كافة وكل ما يكتب بلهجة عامية سيظل محصورا فى قطره وقلمــا يفهمه غير أبناء ذلك القطر ، فاذا تدارسنا خصائص هذه اللهجات ووضعنا لها قواعد رجراجة فماذا تكون مغبة هذا العمل .

ان أخشى ما أخشاه ان يستهوى هذا الموضوع عقول بعض الطلاب فيعكفوا على معالجة تنظيم الكتابة والتأليف باللهجات المختلفة ويكون فى ذلك تشويشا وضررا يباعد بين الأقطار العربية عن بعض بدلا من أن يتوحد بلغتها أى ان تكون النتيجة مخالفة تمام المخالفة لما يتوقع من تدريس اللهجات العامية .

أما القول بأن تدريس هذه اللهجات يفضى الى معرفة مشكلات الفصحى والى مداواة ادوائهـــا فهو قول ضعيف فأدواء الفصحى معروفة تحتاج الى من يعالجها باخلاص واهمها وضع المصطلحات الصعبة أو تحقيقها وتبسيط قواعد الكتابة والاعـــراب والصرف والنحو وتثبيط الكثير من مصطلحات القواعد الصرفية والنحوية لا تحل قصد العامية وتدريسها للطلاب .

ان هناك صحوة واضحة فى العالم الاسلامى تدعو الى اتخاذ اللغة العربية لغـــة عالميـــة للمسلمين شأن اللغات الأجنبية لأنها لغة الفكر والثقافة والعقيدة والحروف العربية هى بشهادة عديد من الباحثين أصلح حروف الأبجديات قاطبة لكتابة الألفاظ .

وستمضى اللغة العربية الفصحى فى طريقها رغم كل محاولات التغريب والغزو الثقافى شريطة أن نكون يقظين الى الهدف الذى يتخفى وراءه كتابات بعض الذين يدعون أنهم غيورون على اللغـــة العربية وهم بالعكس من ذلك اعداؤها وخصومها .

* * *

تفسير التاريخ الإسلامى

ان محاولة تفسير التاريخ الاسلامى عن طريق منـــاهج وافدة لا تستطيع أن تحقق نتائج حقيقية ، فالتاريخ الاسلامى يفسره منهج اسلامى لتفسير التاريخ ، أما التفسير المادى للتــاريخ فانه لا يستطيع أن يستوعب حقائق تاريخ الاسلام . كذلك فان النهج الذى يقدمه الفكر الليبرالى يعجز أيضا عن تفسير حقائق تاريخ تام على أساس منهج ربانى المصدر قد حقق نتائج مصدرها الايمان العميق بالله تبارك وتعالى واذعانا لطريقة الجهاد التى تضع فى قاعدة كم من فئة قليلة غلبت فئة كبيرة باذن الله ؟ .

وقد جرت محاولة تزييف التاريخ الاســـلامى عن طريق المستعمرين بتزييف الوقائع أو اثارة الشبهات حول تفسيرها ايمانا من المستعمر بأن التاريخ سلاح بعيد الأثر فى خلق وعى الأمم ونهضتها وجريا وراء خطة تشويه الحضارة الاسلامية دفعا للمسلمين والعرب الى التنكر لقيمهم وابطالهم والجرى وراء بريق التاريخ والحضارة الغربيين ومن هذه المراجع كتب فيلبى وحتى وبروكلمان التى تعتبر فى بعض الجامعات كمراجع اساسية ومن حق النهضة الاسلامية على الباحثين اليوم تعقب هذه السموم والكشف عنها وتصحيح اخطائها لأنها تمثل عقبة حقيقية أمام تطلعات المسلمين فى أول القرن الخامس عشر ولا بد من أن يوضع فى الاعتبار أن القوى الغالبة والمسيطرة والطامعة فى البلاد الاسلامية وثرواتها تعمل على اســـتخدام التاريخ كأحد الوسائل لدعم نفوذها وتحويل نظر المسلمين عن منبع

ثرى من منابع القوة والايمان بالشخصية والثقة بمجد هذه الأمة ودورها فى بناء الحضارة الاسلامية .

وفى العقود الأخيرة ظهر طابع التفسير المادى للتـــاريخ على أيدى الماركسيين ليزيد هذه المحاولة خطورة ونجــد الآن أمامنا ثلاثة تيارات تواجه التاريخ الاسلامى وتحاول تسميم منابعه وتزييفه ، تتمثل فى الاستشراق الماركسى والاستشراق الصـــهيونى وكل استشراق له غايات واهداف ولكنها كلهـا تجمع على ضرب أمجاد المسلمين وخاصة فيما يتعلق بتاريخ الرسول وتاريخ القرآن وتاريخ الصدر الأول والصحابة والخلفاء .

ولا ريب أن تاريخنا الاسلامى له جوانب القـــوة وجوانب الضعف ، وهى لا تنفصل وتفسيرها واضح هو انه كلمـا اقترب المسلمون من منهـــج الله فى التطبيق صاحبهم النصر والتمكن وانه كلما تركوا هذا المنهج ضربتهم الأمم « **يا أيها الذين آمنوا خـــذوا حذركم** » .

« **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** » .

« **ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة** » .

هكذا حذر القرآن المسلمين من الانحراف عن منهج الله .

وعلينا أن ندرس تاريخنا وفق منهج اسلامى أصيل يعترف بالوحى وبالمعجزة وبالنبوة ورعاية الله للمجاهدين فى ســـــبيله : « **أن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين** » .

وعلينا أن نعرف أسباب الهزائم والنكسات . وأن نكشـــف عنها وأن نفرق أن التماسنا أسلوب الغرب فى الحرب لا يجدى نفعا فلابد من أن يجمع المسلم بين القوة المادية والقوة الروحية ، ولقد

كان لصيحة « الله اكبر » اثرها الكبير فى النصر مما حفز الاكاديميات العسكرية فى الغرب الى دراسة هذه الصيحة بوصفها « سلاح كونى » .

وتاريخنا الاسلامى غنى بصفحات النصر والقـوة والرحمة والعدل والاخاء الانسانى ويتميز بسرعة الحركة على سـطحه وبطئها فى عمقه ، كما يقول احد الباحثين ، اى انك تقراه فتجـد الحوادث متدافعه متلاطمة وكلها حـوادث شـخصية نزاع على السلطان او حطام الدنيا ، فاذا نظرت فى العمق لترى حركة المجتمع وجدت شيئا يشبه الركود المجتمع نفسه يتحرك فى بطء شـديد والقرون تمضى والمجتمع على حالة ، ولقد تظهر فى الطبقات العليا من الانحراف او الاضطراب ولكن اعماق المجتمع تظل سليمة مؤمنة ان لب التاريخ الاسلامى فى الحقيقة هو العمران وليس السلطان هو الحضارة وليس السياسة .

يقول الدكتور يوسف العش : لقد حاول الكثيرون أن يصموا تاريخنا بكثرة الحروب والفتن والمكايد والاضـطرابات والنظرة تعطى البيان الواضح عن أن هذه الوصمات لا أصل لها صحيح ، وكل ما فى الأمر ان هناك تفاعلات فى المجتمع الاسـلامى العربى كانت تأخذ طريقها ولابد أن تأخذ طريقها فى ذلك المجتمع وأن هذه التفاعلات سنة من سنن الله ولن تجد لسنة الله تبـديلا . وهى تفاعلات تحدث فى كل أمة بل ان الأمم الأخرى كانت تتلقاها بعنف اكثر مما تلقاها به المسلمون والعرب وتاريخ الأمم الأخرى ممزوج بالحروب والفتن والاضطرابات اكثر من التاريخ العربى فهـذا تاريخ فرنسا والمانيا منذ الثورة الفرنسية (وهما من أعظم الأمم التى ساهمت فى تاريخ العالم) ان تاريخهما ملىء بالحـروب . حروب الثورة الفرنسية وحروب نابليون ، حرب ١٨٧٠ ، حرب ١٩١٤ ، حرب ١٩٣٩ ، كل ذلك فى مدى لا يتجـاوز قرنا ونصف

القرن والضحايا التى وقعت فى هـذه الحروب تتجـاوز أضعاف مضاعفة ضحايا الحروب فى تاريخنا بأجمعل .

فاذا عرفنا هذا أمكن أن تكون نظرتنا فى كتاب التاريخ الاسلامى التى يقدمها الاستشراق ناصحة يقظة الى الغايات الخفية التى ترمى الى القول مثلا بأن النهضة فى العالم العربى بدأت بحملة نابليون عام ١٧٩٨ .

والحقيقة أن هذه النهضة بدأت بدعوة التوحيد التى ظهرت فى الجزيرة العربية عام ١٧٤٠ وفى أماكن كثيرة باسم (عودة الى المنابع) كذلك حاولت هذه الدراسات أن تصور حركات الاستعمار للاستيلاء على أجزاء من بلاد العرب وأفريقيا على أنها رحـلات استكشافية ومن ذلك الهجوم الى الدولة العثمانية التى حمت الوجود الاسلامى أربعة قرون أو الهجوم على السلطان عبد الحميد الذى عارض رغبة الصهيونية واغرائها بالاقامة فى فلسطين .

أو ما يصورونه من أن البلاد العربية عاشت تحت سلطان الفرس واليونان والرومـان والحقيقة أن البـلاد العربيـة قاومت كل الغزوات وانها قبلت الاسلام لأنه حررها من هـذا النفوذ .

ولقد كان من أكبر أخطائنا فى الفترة الأخيرة كتابة التاريخ عن طريق الاسلوب الوطنى الذى يعلى من شأن الاقليم ويتجـاهل الروابط العربية الاسلامية أو عن طريق الأسلوب القومى الذى يتجاهل الرابطة الاسلامية التاريخية فى الوحدة الاسلامية الجغرافية العقائدية ، وقد مرت هاتان الموجتان وجاءت بعدهما موجة الحركات السياسية والحقيقة أن التاريخ الاسلامى للأمة الاسلامية متكامل جامع لا سبيل الى فصل قطر بنفسه أو عصر بنفسه وأن الأمـة الاسلامية تجمعها عقيدة وكتاب وفكر موحـد مهما اختلفت لغاتهم وتناءت ديارهم . فهم بمثابة القارة الوسطى كما أطلق عليهم نابليون ولا يزالون تجمعهم كلمة الله الى يوم البعث .

الأصـــــالـة

لن نستطيع أن نبدأ مرحلة (النهضة الاسلامية) التى هى ثمرة (اليقظة الاسلامية) والتى حان موعدها مع مستهل القرن الخامس عشر الهجرى الا اذا اعتمدنا حقيقة أساسية لا تغيب عن أذهاننا طرفة عين تلك هى التماس (القرآن الكريم) فى التعرف الى مختلف أمورنا والاذعان لقراره الحاسم الذى جاءت السنة المطهرة تطبيقا وتشريعا له .

لقد بلغنا فى مطلع هذا القرن مرحلة الرشـــــد الفكرى التى تعتمد « الاصالة » منطلقا لها لاعادة صياغة المجتمع الاســـلامى وتعبير العرف الوافد الذى سيطر طويلا هذه المرحلة فى تقـــدير الباحثين فتطلب دعوة المجتمع الاسلامى الى تصحيح وضـــعه بالاستجابة للقانون الربانى دون الاعتماد على الرخص والتأويلات والتبريرات ، وخاصة فى أمور ثلاثة ، المعاملات الاقتصادية المرأة بين الأسرة والعمل ، والاضحاك والفنون التى ينشرها الاعلام .

وكمـــا خلق الاســــلام حضــــارة جديدة من خلال منهج حياة ونظام مجتمع فى صدر الاسلام فنحن مطالبون باقامة هذا المجتمع مرة أخرى ، على هذه الخطوة من الترف الذى يتفشى اليــوم فى مجتمعنا ، وهو ليس ترفا أصيلا ناتجا عن الغنى والثراء الشامل لمختلف طبقات المجتمع . كما يحدث فى الغرب . ولكنه ترف مريض يحاول أن يحطم فى جماعات الشباب روح العزيمة والقوة والارادة .

ويحول بينهم وبين الخشونة والتماسك النفسى الذى يفرضه الاسلام من خلال دعوته الى المرابطة فى مواجهة العـــدو وتطبيق شرعة الجهاد ، فريضة الله الماضية الى يوم القيامة .

ان هناك ثلاثة عوامل خطيرة تنخر فى مجتمعنا عمل التغريب على تمكينها واذاعتها وهى :

● التفاهة : عن طريق الكتابات الخفيفة السريعة .

● الترف : غلبة اوانى الترف وادواته فى وقت الحاجة الى الضروريات .

● التسلية : فى غلبة روح الفــكاهة والعبث على جميع الأعمال الفنية بقصد الاضحاك والسخرية بالقيم ومهاجمة الأصول الثابتة وتصور الحياة فى نظر الشباب على أنها لعبة وعبث .

وهى محاولة لتدمير الذوق الاسلامى ، وهدم العرف الاسلامى والقضاء على الاصالة ومنها اذاعة الأساطير والقصص الخرافية .

ان أخلاقية المجتمعات هى عماد الاسلام ، وعروة حضارته الوثقى ، ومحور الحياة فيه الأخلاق التى تقوم على (التقوى) : والخوف من عقاب الله والرغبة فى ثوابه ، وقد ترددت كلمة التقوى فى القرآن تسعا وثلاثين ومائتى مرة ، ومنها أمر صريح بالتقوى فى ثلاث وثمانين ، وتقوم التقوى على مفاهيم كثيرة أهمها حماية العرض والكرم والشرف ، ولا نهوض لأمة من غير خلق فــاذا استطاعت الأمة أن تتشبع بروح الجهاد والتضحية وكبح جمـــاح النفوس والشهوات أمكنها أن تنجح . أما اذا استسلمت لمغريات الشهوة والفساد والانحراف والتحلل فان القانون الالهى فى قيام الأمـم والحضارات وسقوطها لا يتخلف .

« واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » .

ولقد جاءت الهزيمة فى الغرب من الانحلال ودمرت روح الملذات واللهو ما شيدته روح التضحية .

والايمان يدفع الانسان الى الترقى ، من البشرية ، الى الربانية ومن الذاتية الى الغيرية ، ومن النفس الأمارة الى النفس اللوامة .

ويبلغ المسلم مرتبة الايمان باتخاذ طريق الجهـاد الأكبر : جهاد النفس وحملها على الحق فى كل لحظة من لحظات الحياة مهما شق هذا الحق على النفس ومهما أهمله الناس ونبذوه .

ولقد اخطأ أصحاب النظريات المادية حين نقلوا المسئولية من الانسان الى المجتمع ، وما يزال الانسان مسئولا فى مفهوم الاسلام عن عمله ، والاصلاح يبدأ منه وكل محاسب على قـدر عمله . فالانسان مسئول مسئولية فردية ، وله التزام اخلاقى فى الحيـاة يحاسب عليه فى نفسه واسرته واهله وأن يبداه ببنـاء المجتمع الاسلامى الربانى الا من بناء الود لأسرته وتربيتهم على أصـول الاسلام ومفاهيمه الحقه . كذلك فان فكرة قوامة الرجل على المرأة أساس ودعامة حقيقية فى بناء الأسرة والمجتمع ، وطابع الاسلام الواضح هو التمييز الصريح بين شخصية الرجل وشخصية المرأة . والحيلولة دون امتزاجهما أو تحول احداهما الى الأخرى ، وعلى المرأة أن تعرف ما هو المثل الأعلى الذى يجب أن يكون عليه الرجل الذى يكون اهلا للاقتران بها .

ان هناك أفكارا مسمومة دخلت على المسلمين من شأنها أن تدمر الأسرة وهى أفكار الخمر واللذة المحرمة وعبادة الجمـال والاستغراق فى الفنون المرذولة والصور العارية المعلقـة فوق السرر .

ان هذه المفاهيم الضالة المضلة التى تطرحهـا المسرحيات وأفلام السينما والمسلسلات فى شأن العلاقة بين الرجل والمرأة ،

هى مفهومات يهودية تغريبية زائفة يجب أن نعرفها وندفعها حتى لا تلصق بعقول فتياتنا وشبابنا فيظنون أنها الحقيقة . أو أنها الفهم الصحيح فى هذه الأمور .

لابد أن تقوم دعوة الى الالتزام بالأخلاق الاسلامية ومقاومة التبرج والخروج على تقاليد الاسلام ، وتحريم جميع انواع المسكرات والمغيبات والعودة الى منابع الاسلام الأولى فى بناء المجتمع الاسلامى الجديد .

* * *

تعلم اللغات الأجنبية

علت الصيحة منذ وقت طويل الى تأصيل الاتصال بالفكر الأجنبى وهناك طريقان لهذا الاتصال يحتاجان الى تحفظ شديد .

الطريق الأول : هو طريق الترجمة وتعلم اللغات الأجنبية .

وهذا الطريق محفوف بالاشواك فان اختيار الكتب التى تحتاج الى ترجمتها يتطلب دقة وامانة ، ذلك أن هذا الفكر الذى يترجم هو جزء من فكر امة اخرى يختلف عنا ، فاذا كنا فى حاجة الى الانتفاع به فعلينا أن نعرف ظروف كتابته وعصره وميزة كاتبه وهدف كتابته .

وعلينا أن نوضح وجهة نظر الاسلام فى مادته وموضوعه واسلوب عرضه ذلك أن أى كتاب يترجم فهو يحمل معه تحديات مجتمع آخر وظروف أمة اخرى ، مما يختلف مع أمتنا ومجتمعنا فلابد من اضاءة الطريق أمام قارئه فى أمانة ليعرف الفوارق والمتباينات بين ما يتدمه وما يحتاج اليه .

كذلك فان تعلم اللغات الأجنبية يتطلب ايمانا كاملا باللغة العربية التى يجب أن تكون هى الوعاء الذى تصب فيه اللغة الأخرى ، ويجب أن يكون فكر هذه اللغة مادة لخدمة اللغة العربية والفكر الاسلامى ولا حاجة الى القول بأن المسلم يحمل ثقافتين حين يعلم لغتين أو ثلاث ثقافات اذا عرف لغات ثلاث فنحن لا نريد أن

يعرف الا لغة واحدة ثم تكون أى لغة أخرى وأى ثقافة أخرى فى خدمة القرآن والفصحى وميزة العربية أنها وعاء القرآن ومرآة الاسلام وهو ما لم تحرزه لغة أخرى من اللغات الحية الآن ، ولذلك فان كل ثقافة أو فكر يصل الينا من اللغات الأخرى كالتبرير فى الفقـــه الفرنسى أو الفلسفة الانجليزية أو العلم التجريبى فذلك كله يجب أن يكون مادة خاما فى خدمة الاسلام .

ثم أن هناك محاذير البعثات المرسلة من عالم الاسلام الى الغرب فان الوف الطلاب فى الدراسات العليا الذين يدفعون الى معاهد أوربا كل عام هؤلاء يذهبون دون حصانة واقية من خطـــر الانصهار فى فكر الغرب أو الانبهار بحضارة الغرب . فهم يذوبون هناك فى بوتقة كبرى فلا يعودون لنا بل يعودون لغيرنا أنهم عندما يعودون — الا قليلا ممن رحم الله — يحملون لواء الثقافة الغربية ومن شـــأن ذلك أن يقلل من الحفاظ على كياننا الأصيل (الدينى والثقافى) الذى يتعرض لأخطار وتحديات جد خطيرة .

تقول الكاتبة المسلمة مريم جميلة : انهم يتكلمون لغة العدو ويرتدون زى العدو ويقلدونه فى الكلام والمشية ويهتم العدو بتربيتهم وتدريبهم وتعليمهم مواد الدراسة التى تهيىء لهم محرفة وموجهة الى احداث تطور فى عقلياتهم (فكرة وتصورا) معاكسا لمجتمعهم السابق ووطنهم لكى ينظروا اليه برؤية العدو ، وهم قد قبلوا مسبقا مقياسه الخير والشر فى مناهج تخلق مركب النقص فى اذهانهم والشـــعور بالتفوق فيما يتصل بالغرب .

وفى خلال اقامتهم فى بلاد الغربة تستمر فترة غسل الذهن وشحنه بأفكار جديدة وتصور جديد للحياة لا تترك الطـــلاب على راحتهم ليتعلموا النظريات والقيم كدروس ، وانما تفرض هذه القيم عليهم فتصبح جزءا من افكارهم ومعتقداتهم وهكذا تنقطع ســـائر الصلات القائمة بين الطلبة وبين القيم والمثل والأفكار التى توارثوها

من ماضيهم الثقافى والاجتماعى فلا يتذكرون الا تاريخ بلاد العــدو ويعتبرون أبطال العدو أبطالهم وتقول مريم جميلة وهى الخبيرة بما يتم فى بلاد الغرب من محاولات لاستقطاب أبناء المسلمين .

« يراعى العدو فى المواد مناهج الدراسة ونظام التربية فى بلاده للوافدين أن يتخرج من مدارسها رجال تتغير أذهــــانهم وتنقطع صلتهم عن تراثهم وحضارتهم وبلادهم كليا فيصبحون عملاء العدو ويخدمون مصالحه ويؤيدون المهام التى تسند اليهـــم والمسئوليات التى تلقى على عاتقهم » .

واخطر مما تقول السيدة مريم جميلة ما تذهب اليه حين ترسل أبناءها الى أوربا وأمريكا ليتعلموا اللغة العربية والاسلام فى السربون وهارفارد وبريستون التى تتمركز فيها عتاولة المستشرقين والمبشرين اللابسين ثياب العلم ليحطموا فى قلوب أبنائنا روح الايمان وليسيطروا على أفئدتهم وعقولهم تحت اغراء تقليد الغالب للمغلوب فيــكونوا موجهين لنا فى الشريعد الاســـلامية واللغـــة العربية فنأخذ ديننا وثقافتنا من أفواه أعدائنا !! وهناك يعطونهم كثيرا من السموم فاذا كان من العبادلة : قالوا لماذا تكون عبدا ، اترك كلمة عبد قل منعم كريم ، عظيم بدلا من عبد الكريم ، عبد العظيم عبد المنعم ! ومن ثم تنشأ عنهم ظاهرة غرور على الحق وتكبر على أمر الله ويصبحون أداة طيعة للذين صنعوهم فى بلادهم يحملون لواء نزعات التغريب وكراهية القرآن والاسلام وينظرون اليها فى سخرية وانتقاص وتمتلىء نفوسهم بالزهو ازاء الغرب وبطولاته وحضارته ويعارضون طريقنا الأصيل فى العودة الى مناهل الاسلام ومنابعه الأصيلة لنستمد منها أسلوب عيشنا الحقيقى بعد أن فسدت تجربة الاقتباس والتبعية والانتمـــاء الى الوافد الغريب بكل ما فيه من غربة وتمزق وشر وتلفيق .

الإســـلام والغـــرب

ان الغرب الآن يتطلع الى الاسلام فى خطة البحث عن مخرج من أزمته كما يتطلع الى منهج جديد للحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وذلك بعد أن فشلت الديمقراطية الغربية والاشتراكية والمادية انهم يبحثون عن دين وخالق وبعث .

ولقد جربوا بعد الايدلوجيتين الماركسية والديمقراطية دعوات مختلفة تدور كلها فى اطار الفكر المادى ولما اتجهوا الى الفكر الروحى لم تقنعهم البوذية أو الهندوكية اذن فلابد من البحث فى الاســـلام (وهذا هو ما يدعو الغربيين الى محاولة الحصول على تقارير من بعض العلماء المسلمين تقول بأن المسيحية والاسلام لا خلاف جوهرى بينهما وأن دين الله واحد) .

ولكن الحقيقة لا تلبث أن تظهر وتنكشف من أن الاسلام يقدم للبشرية التوحيد الخالص وأن هناك حقائق كثيرة تتكشف اليوم على أيدى الباحثين المنصفين قوامها :

أولا : الاعتراف بفضل الحضارة الاسلامية ودورها الواضح فى تقديم المنهج العلمى التجريبى .

ثانيا : الاعتراف بأن الكتب المقدسة الغربية هى كتب بشرية وأن بها تناقضات وانها ليست الرسائل المنزلة على الرسل (وقد كشف هذا كثيرون فى مقدمتهم الدكتور موريس بوكاى) .

ولن تجدى المحاولات التى تقوم بها الراسمالية الغربية فى حجب حقائق الاسلام عن الغرب فان الفكر الغربى نفسه قد بدأ ينفض نفسه . وقد قام أنصاره يشككون اليوم فى آراء ونظريات لم تكن فى الماضى موضعا للشك وكان يظن أنها خالدة والمتأثرون بالفكر الغربى يمتحنون الاسلام متخذين المعايير الغربيـــة لتفهم الحـــق والحقيقة ولكن أساليبهم فى تفهم الاسلام لا تحقق لهم قدرة على فهم جوهر الاسلام .

ولذلك فان عددا من علماء الاســـلام يحاولون عقـــد ندوات مختلفة .. لتوضيح هذه الجوانب وقد تصدى لذلك عدد من الباحثين فى مقدمتهم الدكتور محمد المبارك الذى عقد فى باريس عدة اجتماعات من أجل الكشف عن جوهر الاسلام .

وقد كشف الباحثون أن الاسلام هو فى وقت واحد دين ونظام اجتماعى يقوم على أساس العقيدة والشريعة والأخلاق وأن ليس فى الاسلام طبقة من رجال الدين لتفسير الأسرار وان الاسلام دين قائم بذاته لا يشبه الأديان الأخرى قائم على (الثوابت والمتغيرات) الثوابت هى الوحى والعدل . المادة والروح وهو يجمع بين الالهى والبشرى .. ويمتاز الاسلام بالنظرة الشمولية فى الماضى والحاضر والمستقبل فضلا عن النظرية الانسانية من حيث أن الاسلام يخاطب الانسان والناس جميعا .

كذلك فان هناك جوانب لا بد من الاهتمام بها وكشف حقائقها منها عرض سيرة الرسول صلى الله عليـــه وسلم فى أدق تفاصيلها بل ان وجود هذه التفاصيل الدقيقة المثبتة فى كتب الســـنة تعطى الثقة التامة فى دراسة حياة الرسول بينما لا يوجد مثل هذا بالنسبة للأديان الأخرى .

أما القرآن فانه هو النص الموثق الذى لم يحدث خلال خمسة عشر قرنا أن أصيب بأى اضطراب ، هو النص الموثق الذى لا يأتيه

الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فسلامة النص القرآنى عامل هام فى تقويم الاسلام ، ان القرآن الذى نزل على محمد (صلى الله عليه وسلم) هو ما نقراه اليوم بلا نقص ولا تعديل ولا تحريف ، والقرآن لا يخضع للتبويب والتصنيف الذى يتغير بتغير العصور ، ففنون القرآن تتداخل فهو كتاب للحياة والعبادة والتشريع .

وقد قدم القرآن سير المجتمعات والأمم والحضارات وقدم منهج العلم .

(قل انظروا ماذا فى السموات والأرض) وقد قدم منهج النقد (قل هاتوا برهانكم) ويقدم الاسلام مفهوم تكامل شخصية المسلم أخلاقا وعبادة وشريعة فليس لجانب أن يستعلى على باقى الجوانب .

هذه الظاهرة التى تألقت اليوم فى مطالع القرن الخامس عشر الهجرى كانت « نبتة » صغيرة منذ وقت فى جوانب أوربا منذ كتب كارليل عن (النبى) وكتب جوستاف لوبون عن (حضارة العرب) والقى برنارد شو تصريحاته المدوية عن حاجة العالم الى الاسلام . ومنذ كشف رجال القانون فى الغرب عن عظمة الشريعة الاسلامية وكتب كثيرون عن دور المسلمين بناء التجريب كل هذا من شأنه أن يكشف زيف دعوات الاستشراق والتغريب فى انتقاص المنهج الاسلامى واثارة الشبهات حوله .

لقد بدأ الاسلام يهز العالم من جديد ويثبت قدرته على الصلاحية لقيادة البشرية وحاجة البشرية اليه بعد تضاؤل النظرة الى النظامين الرأسمالى والماركسى وخاصة فى عالم الاسلام بعد أن دعا الغربيون الى نظام اقتصادى جديد وعلى المسلمين اليوم أن ينتقلوا الى مرحلة اساسية هى تطبيق الاسلام فى مجتمعهم بما يمكنهم من تقديم هذا النموذج مطبقا الى العالم كله .



* محــاذير الاستشــراق

ما يزال ((الاستشراق)) يحاول اخفاء أسلوبه لخداع المسلمين عن غاياته ويحاول المستشرقون أن يدعوا ((مهمة)) جديدة مختلفة عن ((المهمة)) الحقيقية وذلك بعد أن فضحت مخططاتهم وكشفت أهدافهم ومنذ سنوات أعلن المستشرقون نهاية مؤسستهم والبدء فى عمل جديد تحت اسم عالمية الفكر وما يشبه ذلك من قبل كان هناك رجال اقزام يقفون أمام الاستشراق ثم انقرض هذا النوع .

وجاء عهد أصبح المفكرون البارزون هم من تلاميذ المستشرقين ولكن السنوات الأخيرة كشفت عن جيل جديد من الباحثين أخذ يناقض المستشرقين فى دعاواهم ولكن الاستشراق غير طرائقه وأســاليبه واخذ يعمل من خلال معاهد التعليم ومناهج الدراسة وعن طريق الثقافة والصحافة .

ومن الواضح أن فى عالم الغرب اليوم تيارا واضح الهوية فى التعرف على الاسلام والاعتراف بدوره فى الحضارة والعلم والقانون والتجريب ولكن المستشرقين واتباعهم ما زالوا يحجبون هذا التيار ويقاومونه حتى لا يكون له كيان واضح . فهم من أجل التركيز على أغراضهم لا يترجمــون من المؤلفات العربيــة الا ما يرضى أهواء الاستشراق ففى الأدب لا يترجم الا القصص التى تصور المجتمــع الاسلامى بصورة منحرفة واذا اهتموا ببعض الدراسات التاريخية فعن ما يصور شعبة الفكر الاسلامى للفكر اليونانى وهم يولون فكر

المعتزلة وفكر التصوف الفلسفى اهتمامهم لأنهم يرون ان كلا الفكرين متأثر بالفكر اليونانى ، أو الفكر الغربى .

واذا اهتموا بالحفـــريات الأثرية عملوا على اعلاء شـــأن الحفريات الخاصة بالفراعنة أو البابليين أو الفينيقيين او الآثار التى بناها الصليبيون واذا درسوا الحضارة الاسلامية حاولوا ابراز أثر الحضارة الفارسية واليونانية . واذا عرضـــوا لوقائع التـــاريخ تناولوها من وجهة نظرهم فهم لهم موقفهم من الحروب الصليبية ومن صلاح الدين وبيبرس وقطز . فهم يقللون من شأن بطولاتهم ومن شأن البطولات الاسلامية على وجه العموم فى صدر الاسلام ويقولون ان الأمم الفارسية والرومانية ، كانت قد ضعفت وهذا سر انتصار الاسلام ويرون أن الفتوح الاسلامية كانت من أجل الغنيمة .

يقول الأستاذ محمد ابراهيم الشريف فى رسالته عن اتجاهات التجديد فى تفسير القرآن أن المستشرقين يرون أن مفهوم التجديد التفسيرى عندهم هو التطوير بابعاده عن اصله أو بهدمه من اساسه وعليه فلم يستحق عندهم لقب التجديد ألا محاولات الهدم والانحراف عن الحق ، أما ما سوى هذا من اصـــيل التجديد المرتبط بالكتاب والسنة فهو فى نظرهم رجعية وسبب لتخلف المسلمين لارتبـــاطه بالماضى .

وقد كشف الباحث تهافت دعاوى « جولد سيهز » فى كتاب (مذاهب التفسير الاسلامى) وتعسفه فى اثبات المذهبية للمجددين فى تفسير القرآن كما كشف أخطاء (جوميه) الفرنسى فى دراسة تفسيرى المنار والجواهر « وج بالجوبه » الانجليزى فى دراسته عن التفسير القرآنى .

ويتمثل الاستشراق فى أخطائه فيما يلى :

١ ـ مضاهاة الاســـلام على المسيحية من حيث الألوهيـــة

والنبــوة ، وكتابات الحواريين ومحاولة تطبيق ذلك على القرآن والرسول .

٢ ـ التفسير المادى الذى يسيطر على تفكير جميع المستشرقين الغربيين عن الوحى والنبوة ورسالات السماء .

٣ ـ الخطأ فى تقدير وحدة الأديان من حيث أن مصـــدرها الأساسى هى من عند الله ولكن تفسيرات رؤساء الأديان حرفتها ما عدا الاسلام فيرون أن ما فى الاسلام مشابه لما فى الأديان هو نقل من هذه الأديان :

فى عشرات من الكتب التى وضعها المستشرقون نجد هذا الخلط واضحا ومصدره تعصب للغرب والمسيحية من ناحيـــة وعجز عن استيعاب الاسلام بمقاييسه الصحيحة .

ففى كتاب حياة الرسول لمؤلفه (ر.ف. بورلى) ترجمة السحار ومحمد فرج تجد التشكيك فى أن القرآن من عند الله وفيه القول بأن معظم ما عند الرسول عرفه من التوراة والانجيل من محاوراته مع ورقة بن نوفل وهو باطل والزعم بأن الراهب بحيرا آثر فيه خلال طفولته والادعاء بأن للرسول رحلات الى الشام مع أنها رحلة واحدة دون العاشرة ورحلة بعد العشرين بالمد أيضا وهناك الاصرار على انتقاص لغة القرآن كما نجد فى كتاب هارمن « عقائد الاسلام » ومن ذا الذى يستطيع أن يقول أن لغة القرآن لا تتميز عن الأدب العادى فما زال القرآن قائما بالتحدى ولم يستطع أحد أن يأتى بمثله ، وهنـــاك التشكيك فى بعض سور القرآن عن طريق روايات باطلة ولغة القرآن لها كما يقـــول (دكتور محمود حمـــدى زقزوق) ، لها خصوصية التفرد وقد عجزت العرب عن محاكاة لغة القرآن وما زال التحدى قائما وسيظل قائما الى أن تقوم الساعة .

الفـن فى الإســـلام

« الفن والجمال » قضية مثارة فى هذه الأيام وحقيق بالمسلمين أن يلتمسوا مفهوم الاسلام فيها حتى يكونوا على بينـــة من ذلك التيار الزاحف من خلال المسرح والموسيقى والغناء . ولقد حرص الاسلام أن يكون الفن عاملا من عوامل ابراز قيم الحق والاستقامة والخير . وأخلاقية الفن مقدمة على جماليته والفن وسيلة لأهداف أما وضع الفن فى موقف الصدارة على النحو الذى نراه فهو لا ينسجم مع تعاليم الاسلام .

ان أهمية العمل الفنى انما تتركز فى المضمون والروح والهدف وفى القيم التى يحملها ويدافع عنها ، والفن من وجهة نظر الاسلام ليس مستقلا ولا كاملا بذاته ولكنه تابع لحياة البشر وليس للفن معنى اذا لم يرتبط بالحياة والانسان والمجتمع .

فهدف الفن فى الاسلام كما يقول الأستاذ (محمد شمس الدين صديقى) يجب أن يكون نقل أو ايصال أسمى وأفضل القيم والأفكار والمشاعر الى الآخرين بأسلوب جميل ومؤثر يوفر عنصر المتعـــة اضافة الى التأثر فى سلوكهم وارشادهم الى الصراط المستقيم ، وتعتبر الموسيقى فى نظر الاسلام عملا مكروها اذا اثارت الشهوة والمشاعر الحيوانية او شغلت عن ذكر الله وفى الرسم والنحت يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « أشد الناس عذابا يوم القيـــامة الذين يضاهؤن لخلق الله » وقد حدد الاســـلام الرسم فى النقش

الهندسى وفن الخط وفى كتابة الآيات القرآنية والنقوش المختلفة كما أستعمل الآجر المطلى بالألوان المختلفة لتزيين وتجميل الحيطان والسقوف .

وقد وجد المسلمون فى العمارة (وهى شكل من اشكال الفن) مجالا للتعبير عن ذوقهم الجمالى بحرية كالمساجد والقصور والقلاع والمدارس وليس تحريم رسم الأشـــكال الحسية محددا بالعصر الاسلامى الأول خوف العودة الى عبادة الأصنام ، ولكنها قضـــية أساسية اكثر عمقا : ان الشكل الفنى لا ينفصـــل عن المضمون ولا ينسجم تصوير ونحت الأجسام الحية وابرازها مع عقيدة التوحيد التى تقـــول ان الله ليس كمثله شىء وهو الأول والآخر والظاهر والباطن وكل ما عداه فمن خلقه ومصيره الفناء .

ومن الخطأ القول بالتجسيد لتخليد ذكرى عزيز أو عظيم .

يقول اقبال ان أسمى الفنون هو الفن الذى يوقظ فينا الارادة النائمة ويستفزنا لمواجهة اختبارات الحياة برجولة .

ان الشكل الفنى لدى الفنان المسلم يجب أن ينطلق من عقيدته التوحيدية السامية ويجب أن يعبر عنها .

والفنان المسلم لا يرسم ما يفنى ولا يحس الصور الطبيعية يقول جان بول رو : ان **الاسلام يرمى الى تجاوز الظواهر المؤقتـــة** والى الســـمو على المادة أو على الأقل الى عدم ترك نفســـه يخضع لها .

وقد عدل الفنان المسلم عن مضاهاة الطبيعة استجابة لدينه وانصرف عن تقليدها فى تحريم مضاهاة خلق الله ، والاسلام يكره الرمز التجسيدى الذى تمثله الصور والتماثيل وهدف الاسلام هو العودة بالانسان الى نبع النقاء والفطرة وتحرير الانسان من كل الترسبات الجاهلية ، كذلك فان ســـماع الموسيقى الدائم يجعل

النفس البشرية فى حالة ارتخاء دائم فتقوى بها نوازع الهوى والاخلاد الى الراحة كراهية التكاليف والمشقات وهذا خطر على الأمة من ناحية شعورها بواجبها واستعدادها للتضحية واستغراق المسلم فى الموسيقى والأنغام واقباله الدائم عليها يصرفه عن الآخرة وتظل مشاعره مخدرة . ولقد بين الاسلام كيف أن وقت المسلم اغلى واثمن من أن ينفق فى هذه الفقاعات لأن الزمن هو الحياة وهو أغلى ما فى الحياة . وكل شىء له عوض الا العمر .

وعلى الانسان أن يسارع بشغل وقته بالطاعات والعمل النافع الصالح حتى لا يفاجئه الموت وهو غافل .

بل ان ادمان الانشغال بالمسرح والمسلسلات وغيرها من شأنه أن يقلل من القيم الاسلامية الحاسمة فى حيـــاة الأفراد ، والأمم والمجتمعات ومن شأنه أن يفرض مفاهيم مسمومة عن العلاقات بين المرأة والرجل كلها خارج عن المفهوم الاسلامى الأصيل ولا ريب أن الاسراف فى هذه الوجهـــة من شـــأنه أن يدمر فى نفوس الناس الأخلاقيات والقدرة على الحسم وعوامل الصلابة فى الذاتية ويؤدى الى الاستسلام لمظاهر الجنس والاباحية والانحراف والتحلل والمسرح والغناء كالرسم والنحت يحمل خطيئة اعطاء الصورة البشرية بعدا اكثر تألقا من حقيقتها .

* * *



الفقــه الإســلامى

ما يزال الفقه الاسلامى مفخرة الاســلام الكبرى وأعجوبته النادرة ، فهو تراث مجيد صالح يحتفظ بجودته على مدى أربعــة عشر قرنا فما استخلصه الفقهاء ما يزال يهز دوائر العلم على نحو نادر فقد حمل الفقهاء لواء الجهاد فى سبيل بيان ((شريعة الله)) على مدى العصور .

ولقد أعجب هذا الفقه علماء الغرب عنــدما نقل اليهم وهز نفوسهم وحصل من أعلام القانون على مزيد من التقدير ومع ذلك فما زال أهلونا معرضين عن هذا الكنز العظيم .

لقد كشفت الأبحاث الحديثــة عن جوانب كثــيرة من الفقه الاسلامى استطاعت أن تمد القوانين بمادة خصبة ، منها ما توصل اليه الامام ((ابن القيم)) فيما أسماه نظرية المنفعة فى أعمال الفضولى ومبدأ حرية التعاقد ومبدأ تقرير قيمة الشهادات وعدم تجزئة الاقرار وفســخ عقود الديون المضرة ، ومبدأ تغيير الأحكام بتغير الزمان والأمكنة والأحوال وكلها قوانين جديدة عرضها الغرب فى السنوات المائة الأخيرة بينما كشف عنها ابن القيم قبل ذلك بخمسمائة عام .

كما توصل ((الامام الشاطبى)) الى نظرية تسمى فى القوانين الحديثة هى نظرية التعسف فى استعمال الحقوق ، فأثبت بعد تحليل وتفصيل دقيقين أنه يجب منع الفعل المأذون به شرعا اذا لم يقصد منه فاعله الا الاضرار بالغير .

دعوى تغريب

ولقد كانت هناك دعوى عريضة باطلة أثارها دعاة التغريب من أن الاسلام لم يقدم أصولا عامة للفكر السياسى وأن كل ما كان عند المسلمين هو ما أخذوه من القانون الرومانى ، ولكن الأبحاث الرصينة التى قدمها أمثال الدكتور ضياء الدين الريس كشفت عن زيف هذه الدعوى وأن الاسلام كان له منهج كامل جامع من مفاهيم السياسة والحكم وسياسة الدولة .

هذه النظرات وردت فى الفقـــه الاسلامى وابتدعها الفقهاء المسلمون أساسا وأن الفقهاء الأوروبيين جاءوا من بعد مرددين لها فالماوردى والشافعى والغزالى والجوينى وابن حزم قد اشتركوا فى رسم خيوط هذه النظرية السياسية فى مختلف مجالات الامامة والولاية والحكم والعقــد السياسى وهكذا ومن خلال الأحكام السلطانية للماوردى ، واحياء علوم الدين للغزالى (ونصيحة الملوك) والسياسة الشرعية لابن تيمية اعلام الموقعين لابن قيم الجوزية ومقدمة ابن خلدون ومقدمة كتاب الخراج لأبن يوسف .

اننا نجد منهج الفقه الدستورى الاسلامى كاملا ، شاملا على أعظم قدر من الشمول والتكامل ومن خلال هــذا الفقـــه تتكشف خصائص الشريعة الاسلامية القائمة على سعة ودقة فى بناء الأحكام وحرص على التوازن بين الحقوق وبين الفرد والجماعة (منــع الاحتكار فى التجارة موضوعية أحكامه تجــردها من كل عصــبية أو عاطفة خاصة سوى فكرة العدل والحق المطلق ومرونة مصادره وأصوله) .

وقد قررت المجامع القانونية التى عقدت فى الغرب مجموعة الاستجابة لتغطية جميع الحاجات التشريعية تبعا لمصلحة الأمة فى مختلف مراحل نموها وعلى أساس المحافظة على اصالتها وروحها .

وقد قررت المجامع القانونية التى عقدت فى الغرب مجموعة حقائق :

أولا : ان مبادىء الفقه الاسلامى لها قيمة تشريعية حقوقية لا يمارى فيها .

ثانيا : ان اختلاف المذاهب الفقهية ينطوى على ثروة كبيرة من المفاهيم والمعلومات والأصول الحقوقية التى تتيح للفقه الاسلامى أن يستجيب لمطالب الحياة الحديثة والتوفيق بين حاجاتها .

وقد أصيب العالم الاسلامى فى فترة النفوذ الأجنبى بما حطم ارادته وفرض عليه القانون الوضعى ، وقد كشفت التجربة عن أخطار وفساد واضطراب شديد ووجد المسلمون أنفسهم فى حاجة شديدة الى العودة الى الاصالة والعودة الى تطبيق الشريعة الاسلامية التى تتفوق على القوانين الوضعية تفوقا عظيما فى المسائل الجنائية عامة وان القسم الجنائى صالح كل الصلاحية للتطبيق فى عصرنا الحالى وفى المستقبل كما كان صالحا فى الماضى ، وأن رجال القانون يرجعون للشريعة مجبرين فى قليل من المواضيع المدنية لأن بعض نصوص القانون المدنى التى تحكم المواضيع أخذت من الشريعة الاسلامية وأنه مر على الشريعة الاسلامية أربعة عشر قرنا تغيرت عليها الأوضاع أكثر من مرة وتطورت الأفكار والآراء تطورا كبيراً ، أن الشريعة الاسلامية لم تقبل التغيير والتبديل وظلت قواعدها ونصوصها أسمى من مستوى الجماعات وأكفل بتنظيم وسد حاجاتهم ، وأقرب الى طباعهم وأحفظ لأمنهم واطمئنانهم بينما تغيرت قواعد القانون الوضعى ونصوصه اكثر من مرة لتلائم الحالات الجديدة وظروفها حينما انقطعت العلاقة بين الجديد والقديم وهذه شهادة رائعة للشريعة الاسلامية .

* * *

(٢١)

الإســـلام والعقـــل

ليس الخطر هو التعرف على دور العقل فى الحياة فان الدعوة الى العقل عرفها المسلمون من القرآن نفسه فهو مصدر التكليف ولكن الخطر هو المغالاة فى الدعوة الى العقلانية ومحاولة فرضها أسلوبا واحدا للحيـــاة والتفكير بحيث تنكر المعرفة كل الأساليب والوسائل الأخرى ، ذلك لأن نظرة الاسلام نظرة جامعة بين العقل والوجدان أما اندفاع الغرب فى العصر الى التحيز للعقلانية فان ذلك انما جاء كرد فعل لمرحلة ســـابقة كان الغرب فيها قد اشتط فى التعامل مع الحدس والعاطفة والرهبانية .

وقد جاءت موجة العقلانية نتيجة لظهور الكشوف الخاصة بالقوانين الطبيعية ولكنها مع الأسف أصبحت منطلقا للنظرية المادية ولكن الاســـلام يؤمن بالتوازن بين الروح والمادة ، وبين الحس والعقـــل ، وقد عرف المسلمون من قبـــل مفاهيم الحس والعقـــل والتجربة ولكنهم لم يذهبوا مذهب الغرب فى تقديس العقل .

ان مفهوم عقلانية المعرفة يدعو الى التحرر من التعصب ومن الوثنية والخرافة ، ولكنه لا يدعو لانكار جوانب اخرى من المعنويات والروحيـــة وعالم الغيب ومفهـــوم الوحى ، ويجب أن لا يحجب الوجدان والعاطفة والروح ذلك الجانب الأساسى فى الانسان ، وعلى الوجدان أن يتحرك فى اطار الوحى والعقل معـــا . والعقل قادر على العطاء فى المجالات العلمية اذا تحرك فى ضوء من نور

الوحى ومن حق العقل أن يجتهد ما شاء له الاجتهاد فيما يعرض له من أمور تحتاج الى الفهم غير انه ليس من قدرته ولا من حقه أن يستقل فى حركته وانما عليـــه أن يهتدى فيها بهدى الله تبـــارك وتعالى .

أما العقل فانه لن يهتدى الى الحق الا بالشرع والشرع لا يبين الا بالعقل « يقول الامام ابن القيم » ليس معنى هذا أن نحتكم الى العقل المجرد عن هداية الشرع ، فان العقـــل قد تحجبه الأهواء والشهوات والأمراض والأغراض النفسية فلا يستطيع العقل وحده التعرف على المصلحة بل انه فى حاجة الى ارشاد الشرع ودوره : قرآنا كريما وســـنة نبوية . ويقول الامام الغزالى : العقل كالبصر والشرع كالشعاع ولن يغنى البصر ما لم يكن شعاع من خارج ولن يغنى الشعاع ما لم يكن البصر . والعقل كالسراج والشرع كالزيت الذى يمده فما لم يكن الزيت لم يحصل السراج وما لم يكن سراج لم يضىء الزيت ، الشرع عقل من الخارج والعقـــل شرع من الداخل وهما متعاضدان بل متحدان . ولكون الشرع عقلا من الخارج سلب الله اسم العقل عن الكافر فى غير موضـــع من القرآن : (صم بكم عمى فهم لا يعقلون) .

ولكون العقل شرعا من الداخل قال الله فى صفة العقل :

(فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبـــديل لخلق الله ذلك الدين القيم) فسمى العقل دينا ، ولكونهما متحدين قال الله تعالى (نور على نور) أى نور العقـــل ونور الشرع . والعقل كالأساس والشرع كالبناء ولا يغنى أساس ما لم يكن بناء ولم يثبت بناء ما لم يكن أساس .

ولا خير فى معرفة أو علم فى نظر الاسلام اذا لم يهتـــد الى الحقيقة الأولى فى الكون وهى معرفة الله تبارك وتعالى فالقصد فى جميع المعارف والعلوم فى النهاية هو معرفة الله تعـــالى والاقرار

بوجوده ووحدانيته فهذه المعرفة تطمئن النفس الى كنف ربها وتعبده على علم ويقين وعلى قدر حظ الانسان من هذه المعرفة تكون خشيته لربه وطاعته ومحبته له ورضاؤه بقضائه وقدره وصبره على نكبات الدهر ومصائبه وقد جعل الاسلام الكون كتابا من المعرفة ، ووجه العقول والأبصار الى بدائع صنع الله فيه ودعا الى التفكير فى آياته واستكناه أسراره وفهم نظمه ونواميسه ففتح بهذا باب العلم وحرر العقول من أسر الجمود والجهل .

* * *

الصــــحوة الإســــلاميــة

ان دخول العالم الاسلامى فى مطلع القرن الخامس عشر مرحلة ما يسمى الصحوة الاسلامية أو المد الاسلامى لدليــــل طبيعى على طبيعة المرحلة التى يواجهها المسلمون اليوم ، وهى مرحلة تختلف فيها الآراء بين منصف وحاقد ، ومتفائل ومتشــــائم ، ومستوعب للتيارات العالمية وجاهل بها .

لا ريب أن « الدهشة » التى تسود دوائر الغرب ترجع الى عدم توقع تنبه المسلمين بهذه السرعة الى المؤامرة التى حيكت بدقة منذ سنوات طويلة والتى اعتقد الغرب أن المسلمين قد استوعبوها وانصهروا فيها ، وأنهم قد انفصلوا عن مفهومهم الأصيل للاسلام ولم يعودوا يقايسون الأمور أو يفسرونها الا من خلال المنهج الذى قدمته قوى التبشير والتغريب من خلال التعليم والثقافة منذ أكثر من مائة عام ، وقد تخرجت على هذه المفاهيم أجيال كثيرة ، حتى لم يعد هناك من سبيل الى أن يفهم المسلمون أمور فكرهم وحيــــاتهم وثقافتهم الا من خلال هــــذه « المسلمات » التى وضعت من أجل « تفريغ » الاسلام من حقيقته الأصيلة .

ان المناهج الوافدة تحاول أن تصور الاســــلام بأنه دين من الأديان التى لا تفترق الا فى أمور يسيرة غافلين عن تلك الفوارق العميقة : (الصلب والتثليث والخطيئة) وكذلك ظهرت تلك الدعوات المضللة (البهائية والقاديانية وتابعتها الأحمــــدية) من أجل تزييف

مفهوم الجهاد كما جاء فى القرآن . حاولت المناهج الوافدة ان تحول المسلمين عن اعرافهم وآدابهم ومفاهيمهم ومقاييسهم التى رسمها الاسلام الى مفاهيم الفكر البشرى ، وأن تخدعهم بأن السبيل الوحيد للنهوض وامتلاك الارادة هو « الأخذ » بأسلوب العيش الغربى ومقاييس الغرب فى القتال ، مهملين الجوانب الروحيــة والمعنوية اكتفاء بالتفسير المادى والمقياس المادى ، فكانت النتيجة أن خدعنا الغرب فلم يقدم لنا الا فتات موائد من الجوانب الاستهلاكية والمثيرة للشهوات من مسرح ورقص وأدوات تجميل وأوجه الفساد والترف المستهلك لقوى الأمم وعافيتها ، أما العلوم والتكنولوجيا وادوات القوة فقد حجبها الغرب عنا بينما سلح بها اعداء الاسلام ، وأقام اسرائيل فى قلب العالم العربى وبذلك وقع المسلمون نتيجة متابعتهم لمناهج الغرب الرأسمالية والماركسية الى السقوط فى محنة الهزيمة والنكبة والنكسة .

ولكن مفاهيم الاسلام الأصيلة التى قدمتها حركة اليقظة لم تلبث أن هزت هذا الغافل وردته الى الفهم ، فعرف من أين هزم وبدأ يستيقظ مؤمنا بأن المناهج الوافدة لن تستطيع أن تحقق له أمله ، ولا بد من العودة الى منهج الله تبارك وتعالى الذى تشكلت عليه خلايا جسمه منذ أربعة عشر قرنا ، ومن هنا كانت الصحوة الاسلامية والمد الاسلامى انتقــالا من اليقظة الى النهضة فى مطالع القرن الخامس عشر .

ان الهزة التى تنتاب الغرب اليوم هى هزيمة حساباتهم بأن العالم الاسلامى قد خضع وانطوى وانصهر فى بوتقــة الحضارة العالمية ولم يكونوا ظانين بأن الاسلام قادر فى وقت المحنة أن يستعيد قدرته بأن يرجع الى مبابعه الأولى التى لا تتوقف عن العطاء .

يقول أحد الباحثين أن الهــدف السياسى الراهن من الكتابة عن الاسلام فى الغرب هو سد الأبواب الفكرية أولا على الانســـان

الغربى نفسه حتى لا يرى فى ظهور الاسلام على حقيقته ملجأ له من واقع التمزق الفكرى والخلقى والاجتماعى والعقيدى بل والمادى . انهم يطمعون فى عرض صورة مشوهة عن الاسلام للانسان الغربى حتى يخدعوا الغربيين المتطلعين الى الاسلام .. ومن هنا كانت محاولاتهم للحصول على كتابات من المسلمين عن أن الاسلام لا يختلف عن المسيحية الا فى مسائل فرعية أو اعتمادهم فى تقديم المسلمين للغرب عن طريق الكتابات الزائفة التى كتبها المستشرقون اليهود والنصارى التابعون للكنيسة من ناحية ولوزارات الاستعمار من ناحيـة . وهى نفس المحاولة التى قام بها الغرب بعد عودة المحاربين فى الحروب الصليبية الذى حاولوا أن يقدموا لقومهم سماحة الاسلام .

أما ظاهرة المد الاسلامى فهى صحيحة بكل المقاييس : فقد كان لابد أن تتكشف حقيقة الاسلام التى أخفاها التغريب والاستشراق سنوات طويلة . وأن يتبين أن النفوذ الغربى هو الذى حجب عظمة هذه الحضارة وأخفى ذلك الدور الذى قام به المسلمون فى مجال العلم والتجريد . وما قدمته الشريعة الاسلامية والفقه الاسلامى فى مجال القانون الغربى ، وكيف أن علوما كثيرة منها الاقتصاد والاجتماع والنفس والتربية والأخلاق قد قدم الاسلام أصولا أصيلة ما تزال هى ركايز العلوم الحديثة . ان هذه الحضارة التى أضاءت العالم الف سنة لم تفقد سرها ولا سحرها وان توقفت عن العطاء بعامل خارج ارادتها .. حيث ترك للحضارة الغربية الفرصة أن تقدم نتاجها فاذا العالم بعد ثلاثة قرون غارق فى أزمة من أشد أزماته ومحنة من أقسى محنه ، ذلك لأنه تغافل عن الصانع والخالق وعن أصول العلاقة بين الانسان والمجتمع والحضارة . ومسئوليته الفردية والتزامه الأخلاقى .

الإســـلام والحضـــارة

ان الصورة التى تقدمها « الحضارة الغربية » فى هذه المرحلة من نهاية القرن العشرين الميــلادى اشد قتامة مما يظن الكثيرون المخدوعون . انها تقدم موجة الانتحار الجماعى التى تشير التقارير الى ان هناك ١٠ آلاف شخص يحاولون الانتحار فى اليــوم الواحد وان اعلى نسبة هى فى الولايات المتحدة ثم اليابان والمانيا الغربية وتقوم على ادمان الخمور ، المشكلة الأولى فى الغرب وخاصـــة فى الدول الشيوعية ثم الأمراض السرية التى تفتك فتكا ذريعا بالمواطنين فى دول أوروبا والغرب .

ويقول طبيب انجليزى أن الانحلال الخلقى وتدهور القيــم والمثل العليا فى بلادنا سيصيب الجيل الجديد بأمراض سرية لا أول لها ولا آخر تجعله عاجزا عن متابعة حياته وتحرمه من الابداع الفنى والعلمى وقد زادت نسبة هذه الأمراض بين أطفال المدارس الى ١٠ فى المائة عن العام الماضى .

وهذه الظاهرة هى التى أودت بالامبراطورية الرومانية التى انحلت فى أواخر سنى ازدهارها حتى اصبحت الأميرات والنســـاء الثريات يشترين الشبان بأعلى الأثمان ثم يضعنهم فيما يشبه الحريم ويقدمن لهم افخر الأطعمة !

وقد ارتفعت معدلات ادمان الخمور فى أوربا ففى بولندا ١٠٠ الف من المدمنين المسجلين فى دفاتر المستشفات وينفق أهل بولندا

٧ ٪ من دخولهم على الكحول والادمان . الولايات المتحدة تنفق ٥ ٪ ،ويوجد فى المجر ١٠٠ الف من مدمنى المخدرات وفى يوغوسلافيا ٦٠٠ الف وهكذا عندما وجد مجتمع الوفرة وجدت معه رزيتا الانتحار والادمان وحين وصلت أعلى درجات الترف والغنى فى بلد كالسويد تمركزت على رأس القائمة فى احصائية الانتحار العالمية ذلك لأن غنى البطون قد قتل الأرواح الخاوية وخلق نوعا خطيرا من الانسحاب من الحياة أشنع من الانتحار وذلك عن طريق الموبقات والادمان على المخدرات .

وهناك فى الغرب اليوم ردة ، هى تحديد الخرافة القديمة والأساطير وصياغتها فى صورة جديدة ومتعة الغياب عن الواقع سواء عن طريق المسرح أو مع الادمان .

لقد أصبح فى تقدير الكثيرين زوال هذه الحضارة المعقدة التى تدمرها تكنولوجيتها وتهددها اكتشافاتها العلمية لأن هناك تناقضا عنيفا بين الحضارة والانسان تبعد الانسان عن اتصاله بالطبيعة وتواجده السلمى مع ذاته وغيره من الكائنات البشرية .

يقول جيرالد هيرد فى كتابه « القيم الخلقية الثالثة » :

ان الغرب تعس ومتخلف ويحكمه القانون العلمى فى كل شىء حتى غدا الانسان آلة قابلة للتحكم ما دام كل شىء لا هدف ولا أخلاق له ولا قيم له .

ان كل ما يملك الغرب هو القدرة على التصنيع والقدرة وحدها قد تدمر .

ويتحدث كثير من الباحثين عن « ايديولوجية الفكر الغربى » من أنه يسودها الوجدان المتشائم بكل أبعادها ومظاهرها فى الآداب والفنون والفلسفة والأخلاق والسياسة وأن هذه الأيديولوجية السوداوية المتشائمة « كما يقول سمير كرم » تنتشر فى أوسع نطاق

فى عالم الغرب بما تحمله من أفكار عن لا معقولية الحياة وعبث الوجـــود .

وقد أصبح المفكرون المتشائمون يشنون هجمات هستيرية على كل فكر يؤمن بالتطور الانسانى ومن هنا فان الوجودية هى آخر صيحات الفلسفة التشاؤمية ويرد كثير من الباحثين مصـــدر التشاؤم الى القول بالخطيئة التى تطارد كل انسان فى الغرب . كل هذا يعطى صورة صحيحة عن الغرب وحضارته القاتمة المظلمة التى يحاول المضللون دعوتنا الى الانغماس فى حبائلها والسقوط فى حفرتهـــا .

وهم واتبـــاعهم يحاولون أن يخـــدعونا حين يقـــدمون لنا صورة مزخرفة عى حضارة فاسدة ، وهم فى نفس الوقت يقدمون لنا حضارة الاسلام وعظمته وذلك بتلفيق خيوط مختلطة توهم بأن الفكر الغربى شىء خالد أو مقدس لا يعتريه النقص او الخطأ وهذه المحاولة لا تثبت أمام التحقيق العلمى ويكفى أن يكون من ثمرتهـــا هذه الحضارة الآثمة المنهارة فان الفكر الغربى (بشقيه) فى حقيقته ليس الا فكرا بشريا انتزع نفسه من مفهوم الدين الحق وسار وراء أوهام الفلسفات ومفاهيم المادية والوثنية ، والظاهرة الجديدة هى أن عددا من أعلام الفكر الغربى هم الذين يكشفون فســـاد الحضارة والفكر الغربيين .

يقول سولجستين (الروسى المهاجر الى الغرب) أن أعجب ما يلاحظه المراقبون الأجانب فى الغـــرب هذه الأيام هو انهيـــار روح الشجاعة . هل انهيار روح الشجاعة هى بداية النهاية ؟ أن المعركة من أجل بقاء كوكب الأرض قد بدأت فعلا ومع ذلك فان شاشات تلفزيونات الغرب وصحفه حافلة بالابتسامات والكؤوس المرفوعة لتبادل الأنخاب . أن فلسفة الغرب تعتبر أن الانسان خلق للسعادة وبالتالى فان كل شىء يجب أن يكون لمصلحة الفرد ، ولكن

الانسان كما خلق للحياة فقد خلق أيضا للموت وبالتالى فلا بد له من الايمان الايمان بالله وبالقيم الروحية والمعنوية وبأن رسالة الانسان هى الارتقاء الى قيم أعلى وليس مجرد اقتناء أكثر .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى عجـز الغرب عن فهـم الحضارات الانسانية الأخرى يقول روجيه أرنالدير : ان الغرب يشعر بعقدة نفسيه أطلق عليها مركب العظمة الذى حال دون تفهم انسان الغرب للحضارات الانسانية المغايرة لحضارته والمختلفـة عنها وأخص بالذكر الحضارة العربية فالاوربى لا ينظر الى الشرق العربى الا نظرة المتكبر معتبرا نفسه ابن حضارة اثبتت تفوقهـا بتطور الآلة والتقنية .

وهكذا يحاول الغرب المهـزوم المدمر الذى يقف على حافة الهاوية أن يغرى المسلمين فالوقوع معـه فى نفس الحفـرة حين يدعوهم بألسنة رجال منهم لقد أدرك الغرب أن ماديته تحمل عوامل فنائه ولذا نجد أهل الفكر الغربى مشغولين بالبحث عن كيفية تأخير نهضة المسلمين ومنعها من تحقيق خطواتها مع أنها لا تهدف الا الى الرحمة والعدل والاخاء البشرى .

* * *

إعادة النظر فى المسلمات

اعتقد أنه أصبح علينا أن نعيد النظر من جـــديد فى جميع المسلمات والفلسفات والمذاهب والعقائد والقيم المطروحة فى أفق الفكر الاسلامى وان نميز خبيثها من طيبها حتى تتحرر عقول المسلمين وقلوبهم من التبعية ، وحتى ينكشف فساد النظريات الوافدة التى استحوذت على قلوبهم وعقولهم منذ زمن طويل .

((واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتـــاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه)) .

لقد قام عصرنا على الأنقاض فعلينا لكى نعيد النظر لحيـــاة جديدة ان نزيل افكار هذه الشبهات والسموم التى ترددت طويلا وهى باطلة حتى ظن البعض أنها من المسلمات .

ان علينا أن نحرر الفكر الاسلامى من نفوذ المادية والوثنية الغربية الوافدة من دخائل التغريب والاستشراق والشعوبية .

ان الاحتفاظ بالشخصية الاسلامية والرسالة الأصيلة لهذه الأمة والايمان بدورها الحقيقى بالتوحيد والايمان بالمسئولية الفردية والجزاء الاخروى فى حياة اخرى بعد هذه الحياة والتأكيـــد على الالتزام الخلقى وتكامل الجوانب الروحية والمادية هو الأساس الذى يشكل الفارق العميق بين (حضارة التوحيد) التى يحمل لواءهـــا الاسلام وتهتدى بضوء القرآن وبين (حضارة الوثنية) القائمـــة على العبودية لغير الله والتبعية .

وعلى ضوء ايماننا بقيمنا ، لا بد من اعادة النظر فى مناهج دراسة الأدب والتاريخ والاجتماع والنفس وان نكشف أمام أجيالنا الجديدة وشبابنا ذخائر تراثنا وشريعتنا وبطولاتنا التى يحاول الغرب أن يطمسها ويثير حولها الشبهات ويخلق روح الاحتقار والسخرية بها .

وعلينا أن نقيم مناهج التربية وبناء الشخصية والبطولة بالقرآن والتاريخ والقدوة مع تحرير النفس الانسانية من الأهواء وأن نتمثل النماذج التى صاغها الاسلام وأن نفرق بين المعارف الجوهرية والمعارف غير الجوهرية التى ليس لها قيمة الا أن تكون للزينة فقط ، وعلى المسلمين أن يعملوا على تحصيل العلم النافع فى أمر الدنيا والآخرة والتخلق بأخلاق الاسلام والاعتزاز بالله والشجاعة فى الحق والتضحية فى سبيل الله واداء الفرائض بعد تصحيح العقيدة واجتناب معاصى الله وبذل النصيحة للمسلمين عامة والتحدث باللغة الفصحى .

وعلينا أن نؤمن بأن فترة ضعف الفكر الاسلامى لا تتخذ مقياسا للحكم عليه لأنها لا تمثل حقيقته وعلينا أن نلتمس المنابع الأولى والمصادر الأصيلة التى تبين جوهره الأصيل ونكذب الذين يرجعون ركود المسلمين الى الاسلام فان هناك الفارق الذى يجب أن يكون واضحا بين أصول الاسلام وبين تجربة المسلمين فالاسلام فى الحق براء من كل عناصر الركود والتأخر ، وانما ترجع أسباب الاضمحلال الى عجز المسلمين عن استيعاب الاسلام فى التطبيق .

ان أصدق فهم للاسلام هو فهم الرعيل الأول له . قوة خالقة وراء الانسان والانسان مستخلف فى الأرض عند الله الخالق تبارك وتعالى ، تعاليم اخلاقية تطبع الحياة والحركة والمجتمع ، من أجل بناء الانسان الفرد والانسان فى اطار المجتمع وعلى الانسان أن يضبط النسب بين جوانب الحياة وقيمها .

ان أبرز مظاهر مجتمع المسلمين اليوم هو الانفصال بين الفكر والتطبيق فالمسلمون يقفون عند العلم بالاســلام دون التقدم نحو الايمان ، وهو تطبيق الاسلام على أنفسهم وبيوتهم ومجتمعهم ولذلك فان اكبر التحديات اليوم هى اعادة تكوين الفرد المسلم كمقدمة لبناء المجتمع الاسلامى واقامة أخلاقية الاسلام .

ان نقط البدء فى كل حضارة هى العقيدة وفى الاسلام لا يتنافى الدين مع التقدم .

وليست العبرة بالتقدم التكنولوجى بل العبرة باقامة الفــكر والعقيدة ، والاسلام هو العقيدة القادرة على اطلاق طاقات الأمة .

ان أخطر الأخطار هى اتخاذ الأسلوب الأجنبى فى مراوغتــه ومكره وفساده أسلوبا لنا فى الكشف عن مخططاته أو فهم تاريخنا .

ان هناك محاولة ترمى الى الحيلولة دون استئناف المسلمين حياتهم على أساس الاسلام منها اثارة النعرات القوميـــة وتركيز المفاهيم العلمانية والتشكيك فى العقيدة ألاسلامية وتشويه التاريخ الاسلامى وايجاد الفرق والنحل الهدامة ، ولا شك أن ألأخذ بمفاهيم القومية الأوربى يؤدى الى تفكيك عروة الأمة الاسلامية الى كيانات عنصرية متنافرة وعناصر متعددة متباعدة كما يؤدى الى عدم امكان عودة المسلمين أمة واحدة .

* * *



مستقبليــة الإســـــلام

ان « مستقبلية الاسلام » واضحة وليست فى حاجة الى بيان ولذلك أسباب منها اضطرابات النظريات المعـــاصرة وحث الانسان المعاصر عن وسيلة التحرر من القيود المادية التى كبلته ، وصيحات متعالية منذ أكثر من نصف قرن بفساد الحضارة المعاصرة وصراع الايدلوجيتـــين الرأســـمالية والماركســـية وأزمة القنـــابل الذرية والهيدروجينية وفســـاد المجتمع الغربى وانحـــلال الأسرة وأزمة المخدرات والانتحار فى أرقى البلاد تمدنا وأعلاها ثروة .

ويلى ذلك تطلع البشرية الى نظام جديد ، وللاسلام قدرته فى هذا المجال على العطاء نتيجة سلامة الأصول التى قام عليها من ثبات القيم وارتباطها بالفطرة الانسانية وتميز نظامه بخصوصيات تجعله دائم الصمود فى وجه الأحداث صالحا لمواجهة المتغيرات فى مختلف العصور والبيئات .

ثم ظاهرة التفوق البشرى فى عالم الاسلام واتساع الطاقات الاسلامية الطبيعية والثروات المادية والبشرية وامتـــلاك الطاقة وانكشاف فساد الصيحات الباطلة التى تتـــول بالانفجار السكانى والتى ترجع الى فساد التوزيع وتسلط على الثروة ، أما الأخطار التى تواجه مستقبلية الاسلام فهى :

أولا : التبعية الاقتصادية للشرق والغرب مما جعل المسلمين مجرد مستهلكين وليسوا منتجين .

ثانيا : تمزق صفوف المسلمين وفى الطليعة قادتهم .

ثالثا : الغـزو الواقع عليهم عسـكريا واقتصـاديا وفكريا وحضاريا .

رابعا : تخليهم عن المنهج الاسـلامى وانحرافهم عن حقيقة الاسلام .

والعلاج يكمن فى العودة الى أصول الاسلام الصافية وينابيعه « لا يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها » والعمل بالكتاب والسنة وتغيير منهج التربية والتعليم هو حجر الأساس فى بنـاء النهضة .

وعلى المسلمين أن يعرفوا أنفسهم وأن يعرفوا الآخرين بعيدا عن عقدة التعالى أو التجاهل أو الزهد وأن يعرفوا الآخرين بأنفسهم على صورة الاصالة والرشد الفكرى على أنهم نموذج مختلف له طابعه وذاتيته ، وأنه لا يمكن أن ينصهر وأن يضحى بكل شىء فى سبيل الحفاظ على طابعه الخاص .

وفى عشرات من التقارير الاسرائيلية والغربية نجد الحديث عن « صحوة الاسـلام » يأخذ طابعـا بعيـدا على الموضوعية والانصاف . انه يصدر عن وجهة نظر كارهة لنهضة الاسـلام . والواقع أن « صحوة الاسلام » لا تقاس بمقاييس التفسير المادى للتاريخ ولا بالمفاهيم العلمانية .

ان الوحدة الاسلامية ، والأخوة الاسلامية والتضامن الاسلامى وتحقيق قيام المجتمعات الاسلامية الأصيلة على مبادىء الكتاب والسنة وتطبيق منهج الاسلام فى السياسة والاجتماع والاقتصاد والتربية يجب أن لا يزعج أحدا فان الحضارة الاسلامية لا تتطلع الى أكثر من امتلاك ارادتها وهى بعد ذلك معطية سمحاء مع الحضارات البشرية والانسانية تقيم مبدأ الاخاء الانسانى والعدل والرحمة .

ولنعلم أن الاسلام دين ونظام مجتمع لا يفترقان ، وهو ليس دينا لاهوتيا عباديا ، ولكنه دين يجمع العلاقتين بين الله تبارك وتعالى والانسان ، دين الانسان والمجتمع وقد قدم للبشرية منهجا كاملا فى مختلف مجالات السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية طبقه اجيال من المسلمين خلال أربعة عشر قرنا فأقاموا حضارة الانسانية الحقة ودخلت جميع العناصر وانصهرت فيه من حدود الصين الى نهر اللوار .

ان العالم الاسلامى قد تكشف أخيرا أنه خلال هذا القرن الأخير انما كان مجبورا على السير فى طريق غير صحيح هو الطريق الذى فرضه عليه النفوذ الأجنبى حين حجب الشريعة الاسلامية وفرض القانون الوضعى وأقام أنظمة تحت اسم الديمقراطية والقومية والاشتراكية اتضح انها جميعها فاسدة ولا تصلح للاستجابة لأشواق النفس الاسلامية التى بناها القرآن وكونها التوحيد الخالص .

ان محاولات الغرب والصهيونية والماركسية تأخير نهضة العالم الاسلامى بمقاومة أو تأخير أو اجهاض المنطلق الاسلامى سواء بالتبشير فى اندونيسيا أو ايقاف التقدم فى تركيا أو الباكستان أو احتلال أفغانستان لن يقضى على اليقظة ولكنه سيعطيها قوة جديدة .

* * *

الشعـر ومحـاولات تغـريبه

لما كان الشعر ((هو ديوان العرب)) ولما كان عامود الشعر هو الركيزة الأساسية فى بناء القصيدة فقد جرت المحاولة أولا للقضاء على الشعر العربى الذى كان عاملا هاما من عوامل اليقظة ومواجهة النفوذ الأجنبى . ومن ثم بدأت الحملة عليـه واتهامه بأنه شـعر مناسبات ، وذلك للقضاء على دوره التاريخى الخطير فى هز النفوس فى مواجهة الأحداث فى قضايا الوحدة الاسلامية والنفوذ الأجنبى وفى الترابط بين العرب والمسلمين فظهرت الدعوة الى الشعر الذاتى للقضاء على الشعر السياسى والاجتماعى ، وبذلك تبدد ذلك الصوت الضخم القوى الأداء الذى آزر الحركات الوطنية والاسلامية وواجه الاستعمار والنفوذ الغربى والصهيونية .

هذه هى الضربة الأولى التى وجهت الى ديوان الشعر ، ثم جاءت مرحلة أشد خطرا هى مرحلة الشعر المنثور وقصـيدة النثر او شعر التفعيلة او الشعر الحر .

تلك الدعـوة المسـمومة التى حمـل لواءها الماركسـيون والشعوبيون لاخراب الأدب العربى من (عامود الشعر) ومن كل الآثار القوية الضخمة التى اثر بها فى محيط الاسلام ومجتمع المسلمين وقد وصف شاعر عربى أصيل معاصر هو (عمر أبو ريشة) هذه الظاهرة بأنها موجة منحسرة وظاهرة مرضـية وانها صـناعة وافدة وان الصهيونية وراء هذا الشـعر . فالصهيونية هى مبتكرة البـدع

والهرطقات فى هذا المضمار أو ذاك لملء الفراغ عند الشباب ولمنعهم من العودة الى التراث والاصالة .

وتؤكد الدلائل على أن شعرنا العربى كان عموديا طيلة حياته التى تمتد أكثر من الفى عام وكل التجديدات التى دخلت عليه — كما يقول الدكتور عبد المنعم خفاجى — كانت تلتزم بهـذه العمودية أو تسير فى اطارها وان هذا الشعر العربى قد أصبح صورة فكر وتراث حضارة امة وقد جاء اليوم من يدعو الى التخلى عن هذه العمودية كليا للسير على نظام التفعيلة وحدها ، وابتعد بالشعر عن أصوله العمودية عن موسيقاه الشعرية كذلك هناك من يدعون الى تحطيم هذه العمودية ونبذ جميع شعرائها فى القـديم والحديث والنظر اليهم على أنهم متخلفون لا يصح أن نسـير على منوالهم ، ويؤكد كثير من الباحثين وفى مقدمتهم الدكتور محمد حسين أن الشعر الحر فى أصل نشأته نابع من اتجاه عام يدعو الى تقليد الغرب فى فكره وحضارته ، فاطلاق الشعر من القافية (التى ظل يلتزمها طوال هذه القرون ؛ منذ عرفنا الشعر العـربى) دعوة تستمد حججها ومبرراتها من الشعر الغربى الذى لم يعرف القافية الا فى حدود ضيقة من آثار احتكاكه وتأثره بالأدب العربى فى الأندلس .

ولقد كان من اثر هذه الموجة هو ضعف هذا الجيـل وعجز أكثره عن تذوق الشعر العربى الأصيل فى تراثه الطويل . هذا وقد حمل الشعر الحر جميع سموم الفكر الغربى من تشكيك وانحلال ومعانى مرتجلة ساذجة وحاولت انبعاث تراث قديم من الأساطير التى جاء الاسلام للقضاء عليها واعلان أنها من عصر طفولة البشرية ولقد نشأ هذا التيار ونما قليلا فى مرحلة الضعف والهزيمة والنكسة وجيل الضياع الذى صنعته مفاهيم الماركسية والوجودية والفكر المـادى .

* * *

(٢٧)

الأدب العربى فى مواجهة التحديات

يواجه الأدب العربى فى الوقت الحاضر مجموعة من التحديات الخطيرة تحتاج الى دراسة ومراجعة . وتتطلب العمل على فتــح الطريق الى بناء منهج عربى اسلامى فى كتابة تاريخ الأدب العربى ونقده . خاصــة وأن المنهج الغربى الوافد ما زال مسيطرا على الدراسات الأدبية فى الجامعات والمعاهد وكليات الآداب واللغــة العربية فى أجزاء كثيرة من بلادنا العربية الاسلامية .

واعتقد اننا بدخولنا القرن الخامس عشر الهجرى قد دخلنا الى عصر الاصالة والرشد الفكرى الذى يدعونا الى التحرر من الخضوع للمناهج الوافدة وخاصة بالنسبة للأدب العربى واللغــة العربية الفصحى « لغة القرآن » رغبة فى تحرير الفكر الاســلامى كله من المناهج الوافدة واتى فرضها التغريب والغزو الثقافى .

ولا ريب أن مهمتنا فى هذه المرحلة من حياة امتنا فى التعرف على ذاتنا ومزاجنا النفسى وطابع أمتنا وادبنا ، وابراز ذلك واضحا أمام الأجيال الجديدة لتكون قادرة على شق طريقها فى وسط هذا الركام من المذاهب والدعوات ومحاولات التغريب والغزو الثقــافى والتحرر من التبعية للغرب فى شتى صوره ، وامتلاك الارادة القادرة على ربط أدبنا العربى بالقرآن ليكون ذلك منطلقا الى تبليغ الاسلام للعالمين .

ولا شك أن القصة بمختلف اسمائها وفنونها هى فن غربى خالص مستحدث يختلف اختلافا كبيرا عما عرف فى الأدب العربى من فنون يمكن أن توصف بأنها (قصة) وما عرف عن طابع القصص القرآنى فقد بدات بالترجمة ثم التعريب مع تغيير معالم الباد واسماء الابطال مع بقاء جوهرها الأجنبى .

وما تزال القصة والمسرحية تستوحى ذوق وتصرف المجتمعات الأوربية بكل أخلاقياتها ومفاهيمها وحلول مشاكلها التى تختلف فى جوهرها عن ذوق وتصرف المجتمعات الاسلامية ولا شك أن هنـــاك فروقا بعيدة بين النفس العربية الاسلامية وبين النفس الغربية من جهة الأحداث نفسها ومن جهة الاستجابة للأحداث كالخيانة الزوجية واضطراب الأسرة وهناك أيضا فروق وتباين من ناحية التصرف ازاء الأحداث .

فالقصة العربية المطروحة الآن فى افق الأدب العربى لا تمثل حقيقة روح الأمة العربية الاسلامية لأنها تخضع للمنهج الغربى وهى مغايرة تماما للقصص الأصيل : الذى وصـــفه القرآن الكريم بأنه (القصص الحق) البعيـــد عن الخيـــال الجارف والهوى والتزيد والتفاصيل .

وقد اتسم ادب العربى منذ ظهور الاسلام بخاصية واحدة هى تمثل الصـــدق والحق مع الوضوح والايجاز والتماس العبرة والدعوة الى الخلق والسمو والارتفاع فوق الأهواء وكلها عنـــاصر مضادة للقصة الحديثة ، بل ومعارضة لها ، ذلك أن العربى كان يفكر دائما فى أفق مفتوح مشرق طليق اتساقا مع طبيعة الحياة الحرة الجريئة المكشوفة وطبيعة الفارس المتـــاتل الحفيظ على العرض والكرامة ، الذى يقـــول كلمته فى صراحة ووضـــوح هذه الطبيعة الواضحة لم تكن فى حاجة الى القصة المصطنعة القائمة على الحبكة والمفاجأة والظلال والرموز ذلك أن العقيدة الاسلامية كانت بسيطة

سمحة تقوم على التوحيـــد أساسا فلم تكن فى حاجة الى هـــذه المسارح الغربية التى تقام فى المعابد والأديرة لتشرح للناس مقاصد معقدة .

ان القصة العربية التى يقدمها الأدب العربى اليـــوم ليست أصيلة ، ولذلك فهى لن تستمر طويلا لأنها مضادة للفطرة وللطبيعة العربية الاسلامية فهى قد افسدت عقول الشباب والفتيات نتيجة تلك العبارات المكشوفة والتصورات الهابطة وتلك الدعاوى الباطلة من الاغراء والخداع وأساليب الاغتصاب وصور الاباحية والفساد .

والقصة بهذه الصورة المعروضة اليوم هي من سموم الغزو الفكرى والتغريب التى تهدف الى تحطيم القيم الأخلاقيـــة والكرامة وافساد المجتمع .

* * *



فى مجـــال الترجمـــة

فى مجال الترجمة من الآداب الأجنبية كانت محاولات التغريب والغزو الفكرى بعيـــدة المدى ، فقد حرصت مؤسسات التبشـــير ومدارس الارساليات ومطابعها على تقديم عدد ضخم من الترجمات الهزيلة الأسلوب الفاسدة المضمون التى أغرقت القـــارىء العربى والمسلم بقيم ومفاهيم تتصل بالفسق والزنا والفاحشة والاثم على نحو يحسن هذه المعانى ويرسخها كأنها أمور طبيعية أو مشروعة ، ليست محرمة ولا هى انحراف فى المجتمعات نفسها ، وقد امتد هذا اللون المسموم الى القصـــة والأدب والشعر والعـــلوم والمباحث النفسية والاجتماعية والفلسفة .

وفى مجال الأدب فقد قذفت آفاق الأدب العربى بركام ضخم من القصص الفرنسية الخليعة وقدمت هذه القصص فى أسلوب ردىء فى طباعة رخيصة ، وقد استهدفت كلها الاثارة دون (المنفعة) وبرزت مع ذلك مدرسة ترى اطلاق الفن من قيود الفضيلة ، هذه المدرســـة التى نشأ فى أكنافها القصاصون الحاليون ، وقد أحصى يوسف أسعد داغر عشرة آلاف قصة ترجمت حتى أوائل الحرب العالمية الثانية ، وهو رقم مخيف مفزع وترجمت قصص تحاول أن تنتقص بطولات المسلمين وعظمة المسلمين أمثال صلاح الدين مع اعلاء روح التعصب الأوروبى ، وفى الأخير ترجمت قصص وكتابات يهودية وصهيونية ترمى الى ادخال مفاهيم زائفة فى النفس المسلمة ،

ومن كتابات أمرسون وول ديورانت وغيره تجد محاولة للسخرية بالقيم الأخلاقية والدين وتسفيه الشعائر الدينية واحتقار البطولة والكرامة والعفـة ، وعرض تاريخ اليهود عرضـا جذابا مشربا بالعطف والمحاباة !

ولقد توسعت حركة الترجمة فى مختلف مجالات الفكر والأدب والفن فترجمت القصص الاباحية والمسرحيات اليونانية بمفاهيمها الوثنية التى قام عليها المسرح والرواية وهى نظرية الصراع بين الانسان والآلهة ، مع أن الاسلام ينفى مثل هذا المفهوم ويدحضه ، كما قدمت الترجمة مختلف النظريات الوافدة المتأثرة بالمفهوم المادى والالحادى أمثال نظرية دارون ونظرية فرويد ونظريات العلوم الاجتماعية والأخلاق التى قدمها دور كايم وسارتر وكلها تحاول أن تفرض مفاهيم ونظريات واحدة معارضة لمفهوم الاسـلام الأصيل الجامع الواضح فى مختلف مجالات النفس والأخلاق والسياسة والاقتصاد والاجتماع .وأسوأ ما فى ذلك أن هذه الترجمات قدمت للفكر الاسلامى على أنها علوم أصيلة وليست فروضا قابلة للخطأ والصواب ، أو وجهات نظر تمثل أممها وأصحابها ودون أن تلحق هذه الترجمات أو تسبق بدراسات توضيحية يعرف منها القارىء المسلم موقف أمته وفكرها من هذه القضايا .

وفى نفس الوقت حجبت الترجمة ما يحتاج اليه المسلمون فى هذا العصر من مفاهيم العلوم التجريبية والطبيعية والرياضية التى نحن فى حاجة اليها واستبدلت بذلك ركاما مضطربا عاصفا يرمى الى هدم ذلك الحائط النفسى المرتفع القائم فى النفس المسلمة بالحق والتقوى والكرامة والفضيلة والعطاف ركاما يصور الاباحيات الجنسية على أنها شرعة المجتمع المبـاحة ، كما يصـور الجريمة على أنها ظاهرة طبيعية !

ومن شأن هذه الترجمات أن تطرح فى مجتمعنا الاسلامى موجة من اليأس والتشاؤم والملل والشك وازدراء الحياة مما لا يتفق مع طبيعتنا المتفائلة المؤمنة بالله تبارك وتعالى .

تحـرير الأدب العـربى

أخطر ما أصاب الأدب العربى المعاصر أنه وقع تحت تأثير المذاهب الأدبية الغربية فاحتوته فى مجالين كبيرين : مجال تاريخ الأدب ومجال نقد الأدب ، فخضع لهذه المذاهب الوافدة خضوعا شديدا ولقد كان من أسوأ تحديات التغريب أن جرت المحاولة لعزله عزلا تاما عن مجرى الأدب العربى منذ عصر الاسلام تحت اسـم جديد وتيار جديد ، وبدات الكتابات الأدبية كلها وكأنها منفصـلة انفصالا تاما عن الحلقات المتتابعة للأدب العربى بل ان الكتابات التى قدمها بعض الأدباء المتأثرين بالمذاهب الغربية بدت وكأنها منفصلة تماما كدراسات أبى العلاء المعرى والمتنبى وابن الرومى وغيرهما .

فقد جرت المحاولات لاخضـاع الأدب العربى (القديم كما يسمونه) الى مذاهب غربية كالمذهب التحليلى والمـذهب النفسى وجرى اخضاع هذه الشخصيات وغيرها لهـذه المذاهب مع الاختلاف الواسع والعميق بين العصور والبيئات كذلك فقد جرت المحاولات لاحياء شخصيات منكورة لا وزن لها فى تاريخ الأدب العربى الحقيقى من الصعاليك والزنادقة أمثال أبى نواس وبشار بن برد والضحاك وحماد عجرد وغيرهم ، على أنهـم — كمـا ادعى التغريبيون — يمثلون عصرهم أصدق تمثيل ! .

كذلك فان محاولة الدعوة الى استقلالية الأدب عن الفكر فتحت الباب واسعا أمام (لا أخلاقية فى الأدب) وغلبة المفـاهيم التى يسمونها (الأدب للأدب والفن للفن) وهى مفاهيم ينكرها الفـكر

الاسلامى تماما ويردها ردا غير جميل فهى تحرر الأدب من طابع الأخلاق وتدفعه الى تصوير الغرائز والأهواء من غير ما قيد وذلك باسم حرية الأدب .

وفى ظل هذه الدعوى اتسع الحديث عن الشعراء الاباحيين والكتب التى تتصل بأثارهم أمثال الف ليلة والاغانى وغيرها من هذه المصادر كتب طه حسين فصول كتابة (حديث الأربعاء) كما انفتح المجال أمام ترجمة القصص الغربية الاباحية والكشف عن جوانب الصراع والعلاقات الشاذة فى المجتمع الغربى .

ومن ثم حفلت الكتابات الأدبية بالاستخفاف بالقيم الدينية والأخلاقية والغمز لكل ما يتصل بالعقيدة والسخرية بالفضائل والبطولات والدعوة الى الاطلاق بدون حرج والجراة على المقدسات .

وانتهى هذا الانفتاح الخاطىء الى بروز أسلوب الشك واستعلاء هذه الدعوى واستشرائها فى أسلوب ماكر من أساليب الغزو الثقافى يراد بها وضع علامات استفهام متعددة أمام الشباب دون أن يجد اجابة صحيحة تهدى قلبه الغض أو ترضى نفسه البسيطة .

ولقد كان من أخطر الآثار التى ترتبت على سيطرة المنهج الغربى : ضعف اصالة البحث ، والتخفف من المصادر الأصيلة والاعتماد على المصادر الزائفة من كتب المحاضرات وما سجله الرواة والقصاصون من أخبار من أجل ترويج آراء كاذبة مضللة ، وهى مؤلفات لم يكتبها علماء موثوق بهم ولم تكتب وفق أصول البحث العلمى وانما جمعت للتسلية والترويح وقصد بها جمع الفكاها أو النكات والأحاجى والقصص الكاذبة لاغراق المجتمع بالأوهام والأباطيل ولعل الدكتور طه حسين هو أول من اقتحم هذا المجال حين اعتمد ودعا طلبته فى كلية الآداب بالاعتماد على كتاب

الأغانى مثلما دعا المستشرقون الى اتخاذ الف ليلة مصدرا لدراسة المجتمع الاسلامى وكذلك (ثمار القلوب) للثعالبى وهى كتب حافلة بكل فاسد وغث ، وليس لها طبيعة المصادر العلمية .

وقد اتصل هذا الانحراف بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم عندما طبق طه حسين مذهبه على السيرة فأدخل اليها عشرات الأساطير التى لم يكن يعرفها العرب من قبل ، ولقد عاش المؤرخون المسلمون يحررون سيرة النبى وينقونها من كل شبهة حتى جاء طه حسين فأدخل اليها هذا الحشد الضخم من الأساطير والاسرائيليات التى خدعت الكثيرين حتى ظنوا أنها عمل أدبى رائع وان كانت لم تخف على الباحثين منذ اليوم الأول وقد وصفها المرحوم مصطفى صادق الرافعى وصفا صحيحا حين قال : ان هامش السيرة تهكم صريح .

* * *

إن شاء الله المطلوب من الفترة القادمة

1. مساعدتك في الرسالة.
2. جدول للدروس الفكرية.
3. الجهد للكتابة.
4. تسجيل الخطب . كتابة خطابة.
5. زيارة كل من بدرية وعزة . ساعة to gate
6. الاتصال بكل من الوشي + نمرس + ودعت كتب مقالات.
7. أقل ما يمكن في الفترة القادمة قراءة عشر ساعات وكتابة ٥ . + ساعة للخطبة.
8. القرض الحسن الشقة - القاهرة.
9. الكلام في نشاط الرئيسة مع العيد - ذهبا عقد شقة - صيانة شقة نهائي - تسجيل + شرائط عندي للخطب.